

الأصول النصية للأديان الكتابية دراسة تاريخية مقارنة في ضوء القرآن الكريم

د. أحمد سليمان البشارة *

تاريخ وصول البحث: ٢٠١٢/٣/١ تاريخ قبول البحث: ٢٠١٢/١٠/١٧م

ملخص

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن مدى توثيق النصوص المعتمدة في الأديان الكتابية الثلاثة، ومدى صلاحيتها لأن تكون ديناً يعتمد، ونصاً يتبع، كما يهدف إلى بيان مصداقية القرآن في الكشف عما لحق الكتب الأخرى من تحريف وتبديل وإخفاء، والتحقق مما حظي به القرآن من عناية تكشف عن الإعجاز في حفظه، وصيانتها، وبقائه.

وقد تناول هذا البحث تعريفاً موجزاً بالأصول النصية المعتمدة في الأديان الكتابية الثلاثة، وتتبّع المسار التاريخي لكل دين، مبيناً ما أحاط به من أحداث كان لها أثر على توثيق أصوله الدينية سلباً أو إيجاباً. وقد أسفرت هذه الدراسة عن الكشف عن وجود حلقات غامضة ومفقودة، وثغرات متعددة في مسار كل من التوراة والإنجيل، واختلاق لكتب بديلة من صنع بشري، وغموض في مصدر الأسفار والنصوص التي ألحقت بها. كما كشفت عن نقل متواتر أو متصل في طريق نقل القرآن والسنة النبوية المطهرة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

Abstract

This study aims at revealing the extent to which the texts accredited by the three monotheistic religions are documented, their creditability to be a religion to adopt and a text to be followed. The study also aims at displaying the creditability of the Holy Quran in revealing what deformation, alterations and concealment have tarnished the other holy books, in addition to verifying what kind of care the Holy Quran received revealing the miracle in preserving, maintaining, and it intact.

* أستاذ مشارك، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الشيخ نوح القضاة للشريعة والقانون، جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

The research also presents a brief definition of the original texts of the three monotheistic religions, and follows the historical timeline of each, explaining what events surrounded them that affected the documentation of the religious foundations whether negatively or positively. The results of the study revealed missing and ambiguous links and numerous gaps in the timeline in both the Bible and the Old Testament. In addition, there was ambiguity also about the sources of the books and the texts added to them. The study also revealed the successive and the connected transmission of the Holy Quran and the Prophet's noble Teachings as stated by the Holy Quran: "Lo! We have revealed the Reminder [the Qur'an], and lo! We verily are its Guardian." Al-Hijr (9).

المقدمة:

بالدلائل على ما ينفي هذا الثبوت.

والتحقق من مصداقية ثبوت نسبة النص الديني إلى مصدره السماوي يقوم على دعامين؛ الأول: طريق النقل الذي وصلت به هذه النصوص من مصدرها الذي تنسب إليه إلى الحال التي استقرت عليها في الصورة المتداولة بين الأيدي في واقعها الحالي. والثانية: ما يحمله النص في ذاته من قوة تدل على صحة تلك النسبة.

ويتولى هذا البحث دراسة الدعامة الأولى في الكشف عن مصداقية ما أعلنه القرآن الكريم في مواطن متعددة عن وجود خلل جسيم في التوراة والإنجيل التي بأيدي أصحابها اليوم يُفقدُ

الحمد لله الذي أنزل على عبده فرقاناً مصداقاً لما سبق ومهيماً عليه، يهدي به من اتبع رضوانه سبيل السلام لتبقى معالم الهدى ظاهرة لكل قاصد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الخاتم والعاقب، سيد الأولين والآخرين، وإمام المتقين وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فإنَّ قدسية الدين وسمو قدره وعِظَم شأنه في نفوس أهله تتحقق حين يصل إليهم بطريق لا يتطرق إليها الرب في وثوق نسبته إلى الله تعالى، وإذا ما وقعت الريبة في هذه النسبة، وتطرق إليها الاحتمال ضعفت هيبة الدين، فكيف إذا تواردت الشكوك وتعززت

قدسية الدين وجلاله، ويسلبه القدرة على إثبات نسبتها إلى الوحي الرباني، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ رُؤَا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]. وقوله: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالْحَقِّ هُمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ﴾ [النساء: ٤٦].

وقد جاء البحث مشتملاً على المباحث التالية:
المبحث الأول: تعريف بالأصول النصية المعتمدة في كل من الأديان الكتابية.
المبحث الثاني: المسار التاريخي للأديان الكتابية وأثره على توثيق أصولها النصية.
خاتمة: وتشتمل على خلاصة المقارنات والتوصيات.

المبحث الأول: تعريف بالأصول النصية المعتمدة في كل من الأديان الكتابية الثلاثة.

أولاً: النصوص المعتمدة في اليهودية:

للإهود ثلاثة مراجع نصية توجه حياتهم

ويستندون إليها في تقرير مفاهيم دينهم وطبيعة علاقاتهم مع الآخرين هي:

١ - التوراة: وهو في الأصل الكتاب السماوي الذي أنزل على موسى عليه السلام، وهو كتاب عظيم يؤمن به المسلمون إجمالاً، لورود ذكره في القرآن الكريم وإثبات نزوله على موسى وهارون، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]، وكان المرجع لجميع أنبياء بني إسرائيل الذين تعاقبوا بعد موسى عليهم السلام جميعاً، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُخْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة: ٤٤].

والتوراة لفظٌ عبراني يعني التعليم أو الشريعة^(١). وهي المنسوبة إلى موسى عليه السلام، وهذه التوراة مفقودة لا يعرف لها وجود كما تدل على ذلك مصادرهم^(٢)، وأما المتداول بأيدي اليهود تحت اسم التوراة فخمسة أسفار ينسبونها إلى موسى عليه السلام، هي: التكوين، والخروج، والأخبار،

لأنها أهمها وأن ما سواها تابع لها ملحق بها.
ويوجد لهذا الكتاب المسمى (عند النصارى)
بالعهد القديم ثلاث نسخ تختلف كل منها
عن الأخرى^(١)؛

الأولى: وهي التي بأيدي اليهود اليوم
وتسمى (الماسورة) وهي النسخة العبرانية
التي يعترف بها اليهود العبرانيون ونصارى
البروتستانت وينكرون ما سواها.

والثانية: التي بأيدي النصارى وتسمى
(السبتاجنت أو اليونانية أو السبعينية)، وهي
النسخة التي بأيدي نصارى الكاثوليك
والأرثوذكس، ولا يعترف بها اليهود العبرانيون
ولا نصارى البروتستانت، ويدعي كل فريق
أن نسخته هي الصحيحة.

الثالثة: السامرية أو (الفولكات)، علماً بأن
السامريين لا يعترفون بالعهد القديم وإنما
يؤمنون بأسفار سبعة هي الأسفار الخمسة
المنسوبة إلى موسى عليه السلام، مضافاً إليها
سفر يشوع وسفر القضاة، ويعدونهما سفرين
تاريخيين فقط، ولا يقصدونهما كتقديس الأسفار
الخمسة، وهذه النسخة السامرية هي التي

والعدد، والاستثناء، ولكن اليهود ضخموها
وأضافوا إليها أكبر من حجمها بكثير، وجعل
الكاتبون الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى
عليه السلام في البداية تبركاً بها وإيهاً للعوام،
وسجلوا فيها تاريخ ملوكهم وأنبيائهم وأخبار
أيامهم وأناشيدهم ومراثيهم وأمثالهم وغير
ذلك^(٢)، وهذه المجموعة متداولة بينهم مع
اختلافهم فيها، وتشتمل على مجموعتين:
الأولى وهي المتفق على صحتها عند جمهور
القدماء من المسيحيين وتضم ثمانية أو تسعة
وثلاثين كتاباً، والثانية تختلف فيها وتضم
تسعة كتب^(٣). وتحمل جميعها اسم العهد
القديم، وهي تسمية جاءت متأخرة أطلقها
النصارى، وأطلقوا على الأناجيل الأربعة
وملحقاتها اسم العهد الجديد^(٤)، ذلك أن ما
نسبه الكاتبون إلى الأنبياء الذين كانوا قبل
عيسى عليه السلام أطلقوا عليه اسم القديم،
وما كتبه المتتبعون إلى المسيحية من الأناجيل
وأعمال الرسل ورسائل بولس بعد عيسى عليه
السلام أطلقوا عليه اسم العهد الجديد، أما
اليهود فسمى عندهم الأسفار، أو التوراة وذلك

المجموعة الرابعة: أسفار الأنبياء وعددها سبعة عشر سفراً. وكل واحد منسوب إلى نبي من أنبيائهم كما يزعمون، وهؤلاء الأنبياء لم يرد لهم ذكر في القرآن الكريم فليس عندنا دليل يثبت نبوة أي منهم.

وهذه الكتب يتفاوت كل من اليهود والنصارى بفرقهم المتعددة في قدسيتها والاعتراف بها كلها أو بعضها، ولكنها لا تعتبر عند المسلمين بعينها كتباً مقدسة، حيث لم تثبت لها مصداقية الوحي، باستثناء أصل التوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤]، وأصل السفر المنسوب إلى داود (الزبور)، لقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [الأنعام: ١٦٣]، ويطلق على المنسوب إلى داود عندهم اسم المزامير. كما لا يسلم المسلمون بصحة نسبة هذه الكتب الموجودة بين أيدي اليهود اليوم إلى موسى وداود، وذلك للأدلة التي سترها في ثنايا هذا البحث.

٢- الأسفار الخفية (أبوكريفا): وهي مجموعة من الأسفار التي تزيد بها الترجمة السبعينية

يعترف بها اليهود السامريون فقط، ويخطئون النسختين السابقتين؛ العبرانية والسبعينية، ولا يعترف اليهود العبرانيون وجميع النصارى بالنسخة السامرية ويعدها ناقصة^(٣).

وتشتمل النسخة العبرية على تسعة وثلاثين سفراً تنقسم إلى أربع مجموعات، هي؛ المجموعة الأولى: التوراة أو أسفار موسى الخمسة التي سبق ذكرها، وتسمى (البتاتيك).

المجموعة الثانية: الأسفار التاريخية وهي اثنا عشر سفراً، وموضوعها عرض تاريخ بني إسرائيل لفترة ما بعد موسى عليه السلام، وقصة حروبهم ودخولهم الأرض المقدسة واستقرارهم بها، كما أنها تقصّ تاريخ قضايتهم وملوكهم وأبرز أيامهم وحوادثهم، فهي قصة تاريخ بني إسرائيل في هذه المرحلة كما يظهر ذلك من عنوان المجموعة ومن النظر في محتواها.

المجموعة الثالثة: الأسفار الشعرية أو أسفار الأناشيد، وعددها خمسة أسفار، وتشتمل على مواعظ وأناشيد بعضها ديني وبعضها غزلي فاحش.

كتابة^(١). ويقولون بأن تفسير ذلك: أن موسى عليه السلام قد تسلم القانون المكتوب على ألواح الحجر فوق الجبل ويُسمى القانون المكتوب، وتسلم أيضاً تفسيراتٍ وشروحاً لهذا القانون، وهو ما يدعى بالقانون الشفوي^(٢)، ويستدلون على ذلك بنصٍّ في سفر الخروج يقول: (وقال الرب لموسى اصعد إلى الجبل وكن هناك، فأعطيك لوحى الحجارة والشرعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم)^(٣)، ويفسرون ذلك بأن المراد بالألواح الوصايا العشر، والقانون هو الشرعة، والوصية هي المشنة^(٤)، ويدعون أنها شفوية، وهذا التفسير لا يتوافق مع النص، حيث صرح النص بأن الوصايا مكتوبة وليست منقولة مشافهة، أي أنه لم يتلق موسى سوى المكتوب، ودعوى تلقي المشافهة لا دليل عليه، ولا تدل عليه التوراة الموجودة بأيديهم، والقرآن الكريم يكشف هذه الحقيقة حيث يقول: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، فالذي نزل في الألواح كان مكتوباً وكافياً ومفصلاً لا يحتاج إلى شروح تلقاها

عن الأصل العبري، وأسفار أخرى غيرها، وهي تعتبر كتباً مقدسة عند فريق من اليهود منهم الأحبار الربانيون (الفريسيون) وهم أكبر وأخطر الفرق اليهودية واضعي التلمود وشروحه^(٥).

وقد كشف القرآن الكريم عن هذه الظاهرة الخطيرة، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُتِمْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [المائدة: ١٥]، وقال: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١].

٣- التلمود: لليهود كتاب آخر غير التوراة اسمه التلمود. وهذا الكتاب -فيما يدعون- أنه هو الشرعة الشفوية التي نقلت عن موسى عليه السلام بالمشافهة، كما تلقاها من الله بالمشافهة، وأما التوراة فهي التي نقلت عنه

مشافهة كما يدعون. أي أن القرآن لا يقر بهذا الكتاب ولا يشير إليه بل يدل على أنه لا وجود له، ولا حاجة تدعو إليه، فالمكتوب نزل فيه تفصيل لكل ما يحتاجون إليه، كما أن هذا الكتاب له معارضات يهودية تنكر وجوده وتعتقد أنه مخلق^(١٧).

ويقولون بأنها بقيت تُنقل مشافهةً إلى أربعين جيلاً حتى وصلت إلى أحد أحبارهم يوضاس حيث دونها خوفاً عليها من الضياع^(١٨)، وكان ذلك بعد المسيح عليه السلام بيائة وخمسين سنة، ثم أضاف إليها حاخامات فلسطين وبابل بعض الزيادات، ثم أتم الربّي يهوذا هاناسي سنة ٢١٦م تدوين زيادات أخرى وجميعها سميت (المشناة)^(١٩).

ثم عكف الأحبار على إضافة شروحات وحواشٍ وتعليقات حول المشناة، وسُمّيت هذه الشروح باسم (الجمارا) أي: الإتمام والإكمال. وتم هذا ما بين القرنين الرابع والخامس الميلادي، أي: أنه استغرق تأليفها وتجميعها زمناً طويلاً، وتعاقب على كتابتها حاخامات كثيرون عبر أجيال متعاقبة، ومن

مجموع المشناة والجمارا يتكون التلمود^(٢٠). وقد شارك في وضع هذا التلمود مدرستان يهوديتان؛ إحداهما: مدرسة يهود فلسطين، وتشكل شروح هذه المدرسة مع المتن المعروف بالمشناة التلمود الأورشليمي، أو تلمود بيت المقدس. والثانية: مدرسة بابل، وشروحهم إلى جانب المتن تعرف بتلمود بابل. وهي الأكثر أهمية واعتماداً عند اليهود في جميع الأزمان والظروف^(٢١).

من خلال هاتين الحقيقتين؛ أعني ضياع التوراة الحقيقية التي نزلت على موسى، ووجود كتاب مصنوع في ظروف تاريخية خاصة يدين به اليهود ويتضمن مفاهيم عنصرية خرافية مناقضة لمبادئ الفطرة، ومخالفة لرسالات السماء، مع حرصهم الشديد على إخفائه عن الآخرين، يتبين أن اليهود اليوم ليسوا على شيء مما تصح نسبته إلى وحي السماء، وادعائهم أنه منقول عن موسى عليه السلام مشافهة بلا سند ولا دليل بعد انقطاع طويل هو من قبيل تليس الحق بالباطل الذي برع به يهود، قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢].

٤- بروتوكولات حكماء صهيون: هذه البروتوكولات ليست كتاباً دينياً، وإنما أوردنا الحديث عنها تحت عنوان الأصول النصية المعتمدة عند اليهود لأنها خلاصة ما تمخض عنه الفكر اليهودي التلمودي في الميدان العملي الذي يبلور عقلية اليهود ونفسياتهم وأهدافهم وموقفهم من شعوب العالم، والحديث عنها يحتل مكانة أكبر من الحديث عن التوراة نفسها، لأنها توقفك على الواقع العملي المعاصر الذي يعيش به يهود ويتعاملون من خلاله مع الآخرين، والوقوف في دراسة حقيقة اليهود من خلال التوراة يجعلك في واد والواقع الذي عليه اليهود في واد آخر. وهي في حقيقتها مجموعة تقارير عرضت على زعماء اليهود الذين عقدوا مؤتمر بال بسويسرا سنة ١٨٩٧م برئاسة زعيم الصهيونية المعاصر هيرتزل، وتشكل محاضر جلسات ذلك المؤتمر، ولما نالت القبول والتأييد بل والتبني من قبل المؤتمرين صحّ أن نسميها قرارات^(١٨).

ولشدة خطورة هذه القرارات على العالم حرص اليهود على إخفائها للعمل على تنفيذها على حين غفلة من الناس، ولكنها تسربت من خلال سيدة فرنسية كانت على علاقة مع أحد زعماء الصهيونية بعد اجتماعها به في وكرٍ من أوكار الماسونية السرية في فرنسا، حيث قُدِّر لها أن تطلع على بعض محتوياتها فذُعِرَت لما فيها، وتمكنت من تهريبها إلى رجل روسي يهيم أمرها يدعى (أليكس نيقولا) الذي سلمها بدوره إلى صديق له يدعى (نيلوس) الذي درسها وقارن بينها وبين الأحداث السياسية الجارية آنذاك، فراعها عظم الأحداث التي ذكرتها، ثم قام بنشرها سنة ١٩٠٢م، ولما افتضح أمرها جُنَّ جنون اليهود، وأعلن هيرتزل أنه سرق من "قدس الأقداس" بعض الوثائق السرية، وأنّ ذبوعها قبل الأوان يُعرّض اليهود في العالم للخطر، وهبَّ اليهود لإنكار صلتهم بها مدّعين أنها مختلقة عليهم، ثم سلكوا كل ما بوسعهم لمنع تداولها وصرف الناس عنها، وذلك بوسائل عديدة منها الإسراع في جمع ما

ثانياً: النصوص المعتمدة في النصرانية:

١ - العهد القديم: وهذا من الأصول التي تتفق فيها اليهودية والنصرانية، وذلك لأن عيسى عليه السلام بعث إلى بني إسرائيل، مُتِّمّاً ومُصدّقاً لما بين يديه من تعاليم الأنبياء الذين سبقوه، ومما يدل على ذلك ما جاء في إنجيل متى: "لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل، فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل" (١)، كما أنه وافق الكثير مما كان معمولاً به في شريعة موسى (٢).

ولكنهم يختلفون حولها في أمور؛ منها الاعتراف ببعض الأسفار دون بعض، وهذا الخلاف بين اليهود والنصارى من جهة، وبين فرق كل منهما من جهة أخرى (٣)، كما يختلفون اختلافاً كبيراً في تفسيرها، وفي درجة الاعتماد عليها، حيث يفسرها اليهود تفسيراً عنصرياً خاصاً بهم، ويعدونها مرجعاً ثانياً بعد التلمود، أما النصارى فيعدونها منسوخة ويخالفونها في كثير من الأمور، ويوافقونها فيما يوافق أهواءهم،

يطبع منها من الأسواق بصورة مذهلة وحرقتها قبل أن تصل إلى أيدي الناس، ومنها الهيمنة على دور النشر، ومن خلال قنوات سياسية، وأخرى إعلامية، ولما تجاوز اليهود مرحلة الخطر أصبحوا لا يباليون بنشرها، حين أدركوا أن الشعوب أصبحت مكبلة، لا همّ لها إلا الحصول على لقمة العيش (٤).

أما سرّ خطورتها فلأنها تقوم على أن اليهود هم شعب الله المختار، وكل من سواهم من شعوب العالم إنما هم قوبيم، (أي بهائم) ما خلقهم الله إلا لخدمة العنصر اليهودي، واليهود وحدهم لهم حقّ السيادة على العالم الذي يجب العمل على إخضاعه لدولة عالمية يهودية يرأسها ملك من نسل داود، وترسم السبيل الذي يجب على اليهود أن يسلكوه لتحقيق هذه الغاية من خلال تمزيق كل مقومات القوة والمقاومة عند الشعوب بكل الوسائل التي يجب أن تعمل في الخفاء، ثم رسم المنهج الذي يجب أن تعامل به الشعوب بعد تحقيق الغاية لإخضاعها واستعبادها وتسخيرها لخدمة مصالح اليهود (٥).

بنى إسرائيل ما شُدّد به عليهم، فيُحلّ لهم بعض ما حرّم عليهم. ولكن هذا الإنجيل ضاع واختفى ولا يعرف أين هو الآن^(٢٨)، وذلك بسبب الأحداث الكثيرة الغامضة التي تعرضت لها المسيحية وكتابها، كما سنبينه في المبحث التالي، وحلت محله الأناجيل الأربعة المذكورة التي تعتبر الآن هي المعتمد وقطب الرّحى في النصرانية عند جميع فرقها، قال الشيخ أبو زهرة: "وكان الأناجيل في النصرانية مكان القطب والعماد، وإذا كانت شخصية المسيح وما أحاطوها به من أفكار هي شعار المسيحية، فإن هذه الأناجيل هي المشتملة على أخبار تلك الشخصية من وقت الحمل إلى وقت صلبه - في اعتقادهم - وقيامه من قبره بعد ثلاثة أيام، ثم رفعه بعد أربعين ليلة، وهي بهذا تشتمل على عقيدة ألوهية المسيح في زعمهم، والصّلب والفداء، أي: أنها تشتمل على لبّ المسيحية في نظرهم بعد المسيح ومعناها، وهذه الأناجيل الأربعة هي التي تعترف بها الكنائس وتقرها الفرق المسيحية وتأخذ بها"^(٢٩).

كما يفسرونها تفسيراً خاصاً بهم بما يتوافق مع الإنجيل الذي يعتمدونه أصلاً للدين^(٣٠)، وبمقدار الخلاف بين الأناجيل والخلاف بين الفرق النصرانية في تفسيراتها تتوسع دائرة الخلاف في تفسير ما يراد أخذه من العهد القديم أو تركه أو تأويله.

٢- العهد الجديد: ويشتمل على سبعة وعشرين كتاباً، اختيرت من بين عشرات الكتب الأخرى المماثلة لها^(٣١)، منها عشرون متفق عليها عند الفرق المسيحية، أهمها الأناجيل الأربعة: إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا. ولفظ إنجيل^(٣٢) عندهم مخصص بهذه الأناجيل الأربعة، وقد يطلق مجازاً على مجموع كتب العهد الجديد. والإنجيل في الأصل هو الكتاب الذي أنزل على عيسى عليه السلام، وبعد الأصل الحقيقي للديانة التي جاء بها عيسى عليه السلام، وقد ذكره القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة^(٣٣) في معرض المدح والثناء، ففيه الهدى والنور، وجاء مصداقاً لما بين يديه من التوراة ومبشراً بمحمد ﷺ، ومخففاً عن

رَجَّحَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ؟ وما الضابط في

القبول والرد؟ ومن الذي حكم بذلك؟

ويبدو أن الفِرَقَ التي غُلِبَتْ على أمرها احتفظت لديها بما لم يَنْلُهِ التحريق. ولذلك فإن

مفهوم (أبوكريفا) عند النصارى يختلف عن مفهومه عند اليهود، فإنها عند اليهود المخفأة غير المتداولة عند عامتهم، ولا يمنع أن تكون مقدسة باستثناء فرقة السامرية التي لا تعترف

بها، أما عند النصارى فتعنى المنحول أو المزور الذي لا يستحق أن يذكر، أو التي يجب إخفاؤها لأنها كاذبة وهي عندهم غير مقدسة^(٣١) وقد يؤخذ بها على سبيل الاستثناس.

ثالثاً: النصوص المعتمدة في الإسلام:

١- القرآن الكريم: القرآن اسم للكتاب المنزل من الله تعالى على نبيه محمد ﷺ بلفظه ومعناه، وقد عرّفه العلماء بتعريفات متعددة دائرة بين الإطالة والإيجاز^(٣٢)؛ فمن أطال أراد أن يجمع الخصائص العظمى، ومن أوجز قصد إلى ما يختص به القرآن بما يقع به الحدّ والتمييز عن غيره من الكلام، ولكن مقام التبيين والإيضاح يقتضي ذكر تعريف يجمع

كما يشتمل العهد الجديد على المجموعات

التالية^(٣٣):

أ- أعمال الرسل وهو سفر واحد ينسب إلى لوقا صاحب الإنجيل.

ب- الرسائل المقدسة: وهي إحدى وعشرون رسالة، منها أربع عشرة رسالة تُنسب إلى بولس، والسبع الباقية يطلق عليها الرسائل الكاثوليكية.

ج- سفر (رؤيا يوحنا) ويطلق عليها كذلك مشاهدات يوحنا.

٣- الأناجيل المخفية أو المخبأة (أبوكريفا): إضافة إلى الأسفار المخفية عند اليهود يوجد عند النصارى مجموعة من الأسفار المخفية، واكثرها أصله من الأناجيل التي استُبعدت بعد مجمع نيقية، وصدر قرار المجمع بإحراقها ومنع تداولها والحكم بالإعدام على من يخفي شيئاً منها، أي أنها كانت متداولة في القرن الثاني، ومن حقها الاعتراف بها على قدم المساواة مع الأناجيل الأخرى^(٣٤).

والسؤال الذي يفرض نفسه: لماذا قُدمت

هذه الأناجيل وأُخِّرَ غيرها؟ وما الدليل الذي

بين الأوصاف الذاتية والأوصاف النقلية والتشريعية، أي: ما يتميز به القرآن في خصائصه الذاتية التي لا توجد في غيره، وما أجمعت الأمة على نقله على أنه القرآن الذي تقوم به الحجة على الخلق، وما يختص به من حكم تشريعي، فنقول: "هو كلام الله المنزل على محمد ﷺ، المعجز، المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر"^(٣٥). فكلام: جنس في التعريف يشمل سائر الكلام وفيه تحديد أن القرآن من جنس الكلام، ونسبته إلى الله قيد يخرج به سائر كلام المخلوقين، ولما كان كلام الله لا يمكن حصره لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩] حُصَّ منه المنزَّل دون ما استأثر الله بعلمه، أو ما دُوِّن في اللوح المحفوظ، أو ما أطلع عليه بعض ملائكته، ولما كان المنزل عامًا يشمل كل ما نزل على الأنبياء، قُيِّد بما أنزل على محمد ﷺ خاصة، فخرج بهذا القيد كل ما نزل على النبيين من قبله، وتضمن هذا القيد وصفاً ضمناً هو كونه بلسان عربي مبين لأنه لم ينزل على محمد ﷺ

بغير لسان قومه لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: ٤]، فأغنى ذلك عن ذكره.

المعجز: وصف يجمع ما ثبتت قرآنيته، ويخرج به ما لم يكن معجزاً مما أوحاه الله إلى نبيه محمد ﷺ كالحديث القدسي، والحديث النبوي، وقد اكتفى فريق من العلماء بتعريف القرآن بهذا الوصف مع الإنزال^(٣٦)؛ لأنه أخص وصف يتميز به عن غيره حيث لم يثبت الإعجاز لغير القرآن من كل ما عرفه البشر من جنس الكلام.

المنقول بالتواتر: وصف بين أقوى وأوثق طرق النقل المفيدة للقطع واليقين، وهذا القيد يخرج به القراءات الشاذة حيث لا تعد قرآناً. والمتعبد بتلاوته وصف لأهم خصائصه التشريعية لأنه هو المأمور بالقراءة به في الصلاة وغيرها على وجه العبادة المحضة، ولم يشرع ذلك لغيره من الكلام^(٣٧)، ويخرج به منسوخ التلاوة لأنه ولو فرض تواتر نقله لا تصح به الصلاة.

وهذا التعريف يصدق على كتاب محمد

أنه لا يمكن أن يكون من كلام محمد ﷺ نفسه.

٢- السنة النبوية الشريفة: أما السنة النبوية فهي المصدر الثاني المعتمد في الإسلام بعد القرآن الكريم، وتعرف بأنها: ما ورد عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية. ويختلف هذا التعريف باعتباريات يسيرة بين علماء الحديث وعلماء الأصول من حيث ما يُحتج به وتُسْتنبط منه الأحكام، ومن حيث شمولها لكل ما صدر عنه ﷺ مما هو مصدر للأحكام وغيره.

وتعتبر السنة النبوية حجة ملزمة واجبة الاتباع، يحتج بها في العقائد والتشريعات والأخلاق، وتعتمد في ما جاءت به من أخبار، إذا ثبتت صحتها وتحقق نقلها عن النبي ﷺ، وذلك لأدلة أهمها دليان؛ الأول: ما نصّ عليه القرآن من وجوب طاعة النبي ﷺ، والإعلام أن كل ما جاء به إنما هو وحي أوحاه الله تعالى إليه، قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ٣٢] وقال: ﴿مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال:

البداية والنهاية، مضبوط الرسم والنقل وصورة الأداء، فهو الكتاب المشتمل على مئة وأربع عشرة سورة، مبدوءة بسورة الفاتحة مختومة بسورة الناس، مضبوطة الكلمات والآيات، مكتوبة بصورة إملائية مُحَدَّدة، كتبت في زمن الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ، عن أصل جُمع في زمن الخليفة الأول أبي بكر الصديق ﷺ، كما كتب بين يدي النبي ﷺ من قِبَلِ كُتَّابِ الوحي، كما سيأتي إيضاحه، أصبحت تحمل اسم الرسم العثماني، وتناقلته الأمة جيلاً عن جيل بأعداد غفيرة يؤمن تواطؤهم على الكذب، لفظاً في قراءات محددة منقولة بأسانيدھا عن النبي ﷺ، وكتابة بالرسم المذكور، غير قابلة لزيادة ولا نقصان. وهو حجة الله على العباد لثبوت نقله بطريق قطعي لا يتطرق إليه الشك، فأفاد علماً يقينياً أنه وصل إلى البشر عن طريق رسول الله ﷺ، وتحققت نسبته إلى الله بثبوت إعجازه الذي لا زال قائماً يتحدى أن يأتي أحد من البشر بأقصر سورة منه ولو اجتمعوا، وكان بعضهم لبعض ظهيراً، وهذا يفيد بالضرورة

عمران: ٩٧]، ولم يبين القرآن كيف تُقام الصلاة ولا كيف تُؤتى الزكاة ولا كيف يُؤدى الصيام والحج، وقد بين النبي ﷺ هذا الإجمال بستته القولية والعملية، وذلك أن الله تعالى منحه سلطة هذا التبيين حيث قال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فلو لم تكن السنة واجبة لما أمكن تنفيذ فرائض القرآن ولا اتباع أحكامه^(٣٧).

والسنة بالنسبة إلى القرآن تأتي في المرتبة الثانية، أي أن من أراد البحث عن حكم شرعي في الإسلام فعليه أن ينظر في القرآن الكريم، فإن وجد ما أراد أخذ به، وإن لم يجد رجع إلى السنة. وتأتي موضحة ومفسرة وشارحة، أو تأتي مؤكدة ومقررة ومعززة، أو تأتي منشئة حكماً جديداً لم يتعرض له القرآن، وهي حجة بذاتها فيما أنشأت من أحكام.

وما سوى ذلك من الأدلة التي تعتمد في الإسلام - وقد بسط فيها القول علماء أصول الفقه - ليست مستقلة بذاتها، ولكنها تستمد حججيتها من المصدرين المذكورين أو أحدهما^(٣٨).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، وقال: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤].

الثاني: دليل عقلي يفهم بضرورة التلازم، ذلك أن القرآن شرع شرائع وفرض فرائض وحدّد حدوداً، وكثير منها جاء مجملاً لم يبين تفاصيلها، ولا كيفية أدائها كالصلاة والزكاة حيث قال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [المزمل: ٢٠]، والصيام حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ٨٣]، والحج، حيث قال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل

المبحث الثاني: المسار التاريخي للأديان الكتابية الثلاثة وأثره على توثيق

أصولها النصية.

أولاً: تاريخ اليهودية وأثره على توثيق أصولها
النصية:

من الضروري المرور على تاريخ بني إسرائيل لما بين بني إسرائيل واليهودية من تلازم، فقد ذكرت المصادر المتداولة أن بني إسرائيل في تاريخهم الذي يلفه الكثير من الغموض قد مروا بخمس مراحل رئيسة، نوجزها فيما يلي مع بيان أثرها على ظهور الديانة اليهودية، وتوثيق التوراة وظهور الأصول النصية المعتمدة عند اليهود:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة التكوين حيث تبدأ يعقوب عليه السلام، وبنيه الاثني عشر: يوسف عليه السلام وإخوته. وتفاصيل قصتهم وارتحالهم من الشام إلى مصر واستقرارهم فيها قد فصلها القرآن بأجل وأمتع بيان، في سورة يوسف التي حوت أحسن القصص، كما يُحدثنا القرآن عما آلت إليه حياتهم بعد ذلك من ذل واستعباد

واضطهاد على أيدي الفراعنة في سور عديدة^(٣٩).

والواقع أن هذه المرحلة لا تدخل في تاريخ اليهودية وإن كانت تدخل في تاريخ بني إسرائيل، وذلك لانقطاع الصلة الدينية بين اليهود وبين يعقوب عليه السلام وبنيه، فالقرآن الكريم صرح بانتفاء هؤلاء إلى الإسلام، ولكن اليهود يحرسون على إثبات الصلة مع هؤلاء الصالحين ومن قبلهم إبراهيم عليه السلام ليوهموا أن اليهودية امتداد لمنهجهم، وهي في الحقيقة متأخرة حادثة ولا تربطهم بها صلة إلا أنها انحصرت في أبنائهم. وقد كذبهم القرآن بدعوى يهودية إبراهيم عليه السلام، وأثبت أنه كان حنيفاً مسلماً، وكذلك كان كل من يعقوب وبنيه. قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ إلى قوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٥-٦٧].

المرحلة الثانية: وهي مرحلة موسى

وهارون عليهما السلام اللذين أنزل عليهما التوراة، وهو الكتاب الذي تدعي اليهودية قيام ديانتها عليه، وقد اثني الله تعالى على تورا موسى وهارون عليهما السلام فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]. ويرى المؤرخون أن ذلك كان في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ولا شك أن التوراة في هذه المرحلة كانت مصنوعة محفوظة بيد نبيين كريمين، وقد تحدث القرآن عن هذه المرحلة التي تُعدُّ أوضح وأصدق مراحل تاريخ بني إسرائيل، مع أن فريقاً من الإسرائيليين يعدون هذه المرحلة حركة سياسية أكثر من أن تكون ديناً سماوياً، والصواب أنها قد جمعت بين الأمرين؛ حيث كانت لأول مرة يفصل فيها بنو إسرائيل في كيان سياسي مستقل يراد تكوينه على أساس ديني صحيح، وقد عانى موسى وهارون عليهما السلام في سبيل ذلك منهم المعاناة الشديدة. وكانت بداية ذلك في مصر التي شهدت حالة الصراع مع فرعون، ثم كان إنقاذ بني إسرائيل من اضطهاد فرعون، حيث تم الخروج من مصر إلى سيناء بمعجزة

فلق البحر التي أجراها الله تعالى لموسى عليه السلام، ومع ذلك طالبوا موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهاً كآلهة الوثنيين، واتخذوا من بعده عجلاً إلهاً، وكان في هذه المرحلة دخولهم إلى جنوب بلاد الشام، ويذكر القرآن الكريم مفارقة بين موسى وأخيه هارون عليهما السلام من جهة، وبين الفسقة من بني إسرائيل من جهة أخرى، لا تعرف تفاصيلها، كما لا يعرف أين كان موسى وهارون ومن وافقوهما طوال هذه المدة، ولكن كتب على إثرها التيه الذي دام أربعين سنة على القوم الفاسقين. قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ. قَالَ فَإِنَّهَا مُخِرمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥-٢٦].

وتمتد هذه المرحلة إلى نهاية عهد يوشع بن نون^(١) الذي يقال بأنه كان خليفة موسى عليه السلام على بني إسرائيل وهو الذي عبر بهم إلى فلسطين عن طريق شرقي الأردن إلى أريحا^(٢). المرحلة الثالثة: عهد القضاة: فبعد وفاة يوشع بن نون سادت الفوضى والاضطرابات

حيث بقي التابوت وفيه التوراة في خيمة في الجلجال^(٤٤)، ثم نقل إلى شيلوه^(٤٥)، وبقي هناك ما بين ٣٠٠ و ٤٠٠ سنة^(٤٦)، فما الدليل الذي يثبت أنها خلال هذه المدة الطويلة من الإهمال هي بعينها توراة موسى عليه السلام؟

ثم صرحت مصادرهم بفقدانها واستيلاء أعدائهم عليها، فقد وقعت في يد الفلسطينيين^(٤٧) وبقيت عندهم سبعة أشهر^(٤٨).

المرحلة الرابعة: عصر الملوك الأول^(٤٩):
ويبدأ هذا العصر من زمن طالوت الذي اختاره الله تعالى ملكاً على لسان نبي يسمونه صموئيل^(٥٠)، ولم يذكر القرآن الكريم اسمه، حيث جاء في التنزيل الحكيم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ هُمْ أَرْبَعُونَ لَنَا مَلَكٌ نُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إلى قوله ﴿وَقَالَ هُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة: ٢٤٦-٢٤٧]، ثم تولى الملك من بعده نبي الله داود، وورثه في الملك ابنه سليمان عليها السلام، قال تعالى: ﴿وَقَتْلَ دَاوُدَ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وقال: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾

صفوف بني إسرائيل، وآلت القيادة إلى الكهنة المنتخبين من كبار العشائر يسمون القضاة، وقد تميزت هذه المرحلة بعدة مميزات من أهمها: حصول تغيير تدريجي من حالة البداوة إلى حالة الاستقرار، وكثرة القياديين التي تمثل الفوضى وتشتت الصفوف، وتفرق الكلمة، والتعرض للعديد من الغزوات والهجمات والاستعباد من قبل الأمم المجاورة بسبب تفرقهم وكثرة معاصيهم، ويذكر سفر القضاة عددا من الهجمات التي تعرضوا لها بسبب فسادهم وشورهم وكثرة معاصيهم مما أغضب الرب عليهم فسلط عليهم من ينتقم منهم^(٥١)، وكثرة الفساد والشور والعصيان الذي انتشر بينهم يدل على استهانتهم بالدين وعدم حرصهم عليه، وقلة مبالاتهم به، حتى إنهم سرعان ما يتحولون إلى عبادة آلهة الشعوب التي تغلبهم^(٥٢)، وما لا شك فيه أن هذه الأحداث لها دور سلبي على توثيق نصوص التوراة وحفظها، وبالفعل فقد تعرضت للضياع ومرت بمرحلة من الغموض، ولم تكن جهة ذات اعتبار تتولى حفظها والاهتمام بها بل كانت مهملة للغاية

[النمل: ١٦]. فعاش بنو إسرائيل في عصر هذين النبيين أوج عزهم وسلطانهم، وكانت التوراة في هذه المرحلة هي الشريعة السائدة، والتي لا يشك في وثوق النص فيها، لأن ما تعرضت له التوراة من قبل فإن عصر النبوة المؤيد بوحى السماء كفيل بكشفه وتصحيحه، وإعادته إلى ما كان عليه، مع ما أضيف لها ما نزل على داود عليه السلام وهو الزبور، وكان المرجع الديني هو التوراة، يحكم بها النبيون كما نص على ذلك القرآن الكريم.

المرحلة الخامسة: عصر الملوك الثاني أو عهد الانقسام والزوال^(٥١): ويتمثل هذا الدور بانقسام مملكة سليمان إلى دولتين: الأولى مملكة يهوذا في الجنوب وعاصمتها أورشليم (القدس). والثانية: مملكة إسرائيل (السامريون) في الشمال وعاصمتها شكيم (نابلس)، وعاشت هاتان الدولتان مرحلة من الصراعات والحروب والمنازعات بينهما، وكان من أهم أسباب الصراع الخلاف على التوراة حيث ينكر كل فريق ما عند الآخر، ومن أهم الحروب ما كان سنة ٧٦٠ ق.م، حيث تغلب

السامريون على دولة يهوذا وأحرقوا توراتهم لاعتقادهم بطلانها^(٥٢)، إضافة إلى ما شهدته من الفتن الداخلية. ولكن دولة يهوذا كانت أكثر استقراراً حيث تعاقب عليها تسعة عشر ملكاً، امتدت من سنة ٩٣٥ ق.م إلى سنة ٥٨٦ ق.م. أما مملكة إسرائيل فكانت أكثر اضطراباً وقلقاً، تعاقب عليها أيضاً تسعة عشر ملكاً، وامتدت من سنة ٩٣٥ ق.م إلى سنة ٧٢١ ق.م^(٥٣). ولم يبق لليهود في عهد هؤلاء الملوك أي مشروع نافع بل عم حكمهم فساد الأخلاق والفوضى الدينية وشاعت العبادة الوثنية^(٥٤). وفي هذا العهد فقدت التوراة^(٥٥)، ولم يُفطن لها إلا في عصر يوشيا^(٥٦) وذلك لما رأى ما بالدولة من الانحلال والفساد، وأدرك أنها تسير إلى الهلاك والدمار، أراد أن يتفادى الأمر بالرجوع إلى الدين والعمل بالتوراة فعند ذلك طلب التوراة فلم يجد شيئاً وبعد سبعة عشر عاماً من حكمه قام حلقياً الكاهن فقدم التوراة للملك مدعياً أنه وجدها في بيت المقدس، وقام بتسليمها إلى شافان وزير الملك ليقوم برفعها عن طريقه إلى الملك، وقد مزق ثيابه وأخذ يسأل عما في التوراة

بالعودة إلى فلسطين فعاد فريق منهم وكان ذلك عام ٥٣٨ ق.م.^(٣١)

وتعاقب عدد من ملوك الفرس حتى جاء عهد أرتخشستا (٤٠٤-٣٥٨ ق.م) الذي نال الكاهن عزرا اليهودي في عهده ثقة الملك وأنزله مكانة مرموقة، تمكن من خلالها الحصول على قرار يسمح لليهود بالعودة إلى القدس وإقامة حكم ذاتي لهم، تحت مظلة الولاء للفرس والخضوع لهم. وقد جاءت تفاصيل هذا القرار في سفر عزرا^(٣٢).

وتقول المصادر اليهودية بأنه تهيأ لعزرا كتابة التوراة من جديد وذلك أنه "هياً قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها"^(٣٣) ثم كتبها بإلهام^(٣٤) وكان الغرض من هذه الكتابة التي لم تقتصر على عزرا هو إيجاد وسيلة لخدمة مستقبل اليهود وتجميعهم، وذلك لتحقيق أغراض سياسية مادية لا علاقة لها بالدين ولكنها تلبس لبوس الدين، واستطاع عزرا هذا بدهائه وما حازه من مساعدة وثقة لدى الملك أن يعيد تجميع اليهود كوحدة عنصرية سياسية.

ويعدّ عزرا هذا زعيم اليهودية في

هل هو صحيح أم لا؟^(٣٥)، ثم اختفت هذه النسخة ولم يعد لها ذكر أو اهتمام؛ لأن الملوك الذين جاءوا بعد يوشيا كانوا مرتدين (كما تقول التوراة) إلى أن انتهت دولتا اليهود، وهذا يدل على ما كان عليه اليهود من بُعْدٍ عن الدِّين وإهمال لكتب السماء.

وكان تدمير دولة إسرائيل سنة ٧٢١ ق.م على يد الملك سرجون الثاني ملك الآشوريين، الذي سبى أعظم أصحاب النفوذ وأحرق ما معهم من الكتب الدينية^(٣٦). أما دولة يهوذا فقد انتهت سنة ٥٨٦ ق.م على يد نبوخذ نَصَّر البابلي، الذي دَمَّر المعبد وسبى اليهود إلى بابل^(٣٧)، وقتل جميع الذين يحفظون التوراة كما يقول السموال: "وهؤلاء الأئمة الهارونيون الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظون أكثرها قتلهم نبوخذ نَصَّر على دم واحد يوم فتح بيت المقدس"^(٣٨).

ثم تعاقبت عليهم أحداث كثيرة ألحقت بهم أشد صنوف القتل والسبي والتشريد في البلاد^(٣٩)، حتى استولى الفرس على بابل في عهد كورش سنة ٥٣٨ ق.م، وسمح لليهود

عصره، نزل عندهم منزلة موسى، وإليه يعود دور تأسيس اليهودية المتأخرة ومقرر أصولها. ولم تثبت له نبوة، وليس له سند متصل اعتمد عليه في إظهار التوراة، ولكنه كتبها من حفظه ومن بقايا ما حفظه أحبارهم بعد السبي. يقول السموأل: "فلما رأى عزرا أن القوم أحرق هيكلمهم، وزالت دولتهم، وتفرق جمعهم وُرِفَع كتابهم، جمع من محفوظاته، ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي بأيديهم الآن"^(١٧)، "ولذلك بالغوا في تعظيم عزرا هذا غاية المبالغة... فهذه التوراة التي بأيديهم -على الحقيقة- كتاب عزرا وليس كتاب الله"^(١٨).

ومما يجدر ذكره أن التوراة التي جاء بها عزرا الكاهن غير التوراة التي جاء بها حَلْقيا الكاهن، فإن هذه قرئت على بني إسرائيل مرتين في يوم واحد، وأما التي جاء بها عزرا فقد قرئت عليهم في سبعة أيام متوالية^(١٩).

كما يمكن القول بأن الديانة اليهودية بدأت من عصر عزرا مقطوعة الصلة بموسى عليه السلام وتوراة موسى، ودخل بنو

إسرائيل في دين عنصري مصنوع بأيدي بشرية. وكان لكل من جاء بعده من الزعماء الدينيين والسياسيين اليهود دوراً في إضافة ما يلزم لاستكمال بناء الشعب اليهودي بالطريقة العنصرية التي رسمها عزرا، مما شكّل الأسفار العديدة التي ألحقت بالتوراة واختلفت فرقهم في اعتمادها.

جاء في دائرة المعارف الأمريكية: "لقد كان هناك نشاط أدبي بين الإسرائيليين في عهد مبكر، فسجلوا تقاليد القبيلة وقوانين الجماعة الإسرائيلية، وهذا بجانب الأغاني الشعبية وترانيم العبادة وما ينطق به الكهنة والأنبياء"^(٢٠) من كهانة ووصايا، وبعد أن استقرت حياة الطائفة الإسرائيلية بدأت تظهر بالتدريج وعن غير قصد عناصر من هذه الآداب، اعتبرت الطائفة ركائز لحياتها الاعتقادية، وبهذا أعطيت هذه العناصر وقاراً خاصاً تفردت به وتحولت بذلك إلى كتابات مقدسة، ولا شك أن الكتاب الأصليين لهذه الكتب لم يَدُرْ بخَلْدِهِمْ أن ما كتبوه وسجلوه سيكون له مثل هذه القداسة في حياة الطائفة الإسرائيلية في يوم من الأيام"^(٢١).

عديدة. وتقول: إن التوراة لم تكتب بلغة واحدة ولكنها كُتبت باللغة العبرية، ثم استُكملت باللغة الآرامية، وخُتمت آخر كتبها باللغة الإغريقية، وقد اشترك في كتابتها رجال لهم قدر من العلم وآخرون حظهم من المعرفة ضئيل^(٧٦).

كما ذكرت دائرة المعارف الفرنسية لاروس ما يلي: "العلم العصري ولا سيما النقد الألماني قد أثبت بعد أبحاث مستفيضة في الآثار القديمة والتاريخ وعلم اللغات أن التوراة لم يكتبها موسى، وأنها عمل أحبار لم يذكروا اسمهم عليها، ألفوها على التعاقب معتمدين في تأليفها على روايات سماعية سمعوها قبل أسر بابل^(٧٧)، بل ذهب بعض العلماء إلى أن هذه الأسفار الخمسة ليس فيها كل الروايات الإسرائيلية ولكنها تحتوي فقط على إشارات ورموز وحكايات^(٧٨).

ويقول نولدكه في كتابه "اللغات السامية": "جمعت التوراة بعد موسى بتسعمائة سنة، استغرق تأليفها وجمعها زمناً متطاولاً تعرضت حياله للزيادة والنقص، وإنه من

وعليه فإن التوراة التي بأيدي اليهود اليوم ليست التوراة التي أنزلت على نبي الله موسى عليه السلام، وإنما كُتبت في عصور متأخرة عنه، واشترك فيها عدد غير قليل من الكتّاب يُسمون الكتبة أو الفريسون^(٧٩)، وكانت كتابتها قبل الميلاد بحوالي ٤٠٠ سنة بعد السبي البابلي^(٨٠). وتواردت على وفق هذه المعطيات آراء العلماء والمحققين على أن توراة موسى الحقيقية مفقودة ليس لها وجود معلوم، وأن التوراة التي عندهم مصنوعة بأيديهم^(٨١). وإليك بعضاً من هذه الشهادات:

جاء في دائرة المعارف الأمريكية: "لم يصلنا أي نسخة بخط المؤلف لكتب العهد القديم. أما النصوص التي بين أيدينا فقد نقلها إلينا أجيال عديدة من الكتبة والنساخ، ولدينا شواهد وفيرة تبين أن الكتبة قد غيروا بقصد أو دون قصد منهم في الوثائق والأسفار التي كان عملهم الرئيسي هو كتابتها ونقلها"^(٨٢).

وتقول دائرة المعارف البريطانية: "إن التوراة ليست كتاباً واحداً ولكنها تتكون من مجموعة من الكتب استغرق تأليفها قروناً

العسير أن نجد كلمة متكاملة في التوراة مما جاء به موسى، لأن التوراة لم تدون في عهده ولا في الجيل الذي تلاه"^(٧٨).

ويذكر الدكتور موريس بوكاي: "أنها مجموعة من الأسفار المختلفة من حيث الطول والموضوع والأسلوب، وأنها كُتبت بلغات متعددة على مدار فترة زمنية تزيد على تسعمائة سنة، بالاعتماد على تراث شعبي شفوي، وكثير منها تم تصويبها وإكمالها اتساقاً مع الوقائع والأحداث أو المتطلبات الخاصة على فترات متباعدة من الزمان"^(٧٩).

وجاء في موسوعة (فك اند فاغلز) (جزء ٩، ص ٣٣٤٥): "يعتقد معظم العلماء أن البنتاتوك (أي الأسفار الخمسة الأولى من التوراة) والتي عزي تأليفها لموسى عليه السلام إنما ألفها بشكلها الحاضر الكتبة البابليون أثناء النفي"^(٨٠).

وبناء على هذه المعطيات لا يستطيع أي باحث أن يقتنع بأن التوراة الموجودة الآن هي التي نزلت على موسى عليه السلام، بل كانت وليدة مؤثرات عديدة منها الأحداث التاريخية

وما تركته من آثار على نفسية اليهود عبر أزمنة طويلة، ومنها تعدد المصادر التي كونت هذا الكتاب^(٨١)، ومنها كثرة الإضافات التي أثقلت كاهلها من غير معيار ولا ضابط فيما يضاف وما يحذف، مما جعلها كثيرة الاختلافات والتضارب والأخطاء^(٨٢) التي لو أردنا أن نستقصي شواهدنا لخرج هذا البحث عن مقصده، لهذا كثرت الفرق المختلفة عند أهل الكتاب لعدم وجود كتاب يثقون بنقله مما جعلهم في شك مما في أيديهم، وإن كانوا يخفون ذلك ويتسترون عليه أمام الرأي العام، ولكن الشهادات المذكورة تؤكد ذلك، وهذا ما كشفه القرآن الكريم عنهم بقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِّي بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُّرِيبٍ﴾ [الشورى: ١٤].

قال النيسابوري: "لأنه حكم عليهم في آخر الآية بأنهم في شك من كتابهم مرِب"^(٨٣).

ويمكن أن نعزو أسباب ضياع التوراة

إلى سببين رئيسين هما:

الله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَتَيْنَ مَا تُخْفُونَ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمُسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢] وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيُعَذِّبَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفِيَاةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

وأما التلمود فالملاحظ أنهم ينسبونه إلى موسى مشافهة، وإذا رأيت حال المنقولة مشافهة عبر أربعين جيلاً، كما نلاحظ أن هذا الكتاب أُلِّفَ سِرّاً في فترات التنكيل والتشريد والقتل والسبي التي تعرض لها اليهود على أيدي الآشوريين والبابليين والرومان، فكان لهذه الأحداث التي أدت إلى القهر والعجز عن المقاومة أثر في تكوين فكر اليهود وكتابة شريعتهم^(١٠)، مما دفع مفكرهم إلى تأليف كتاب يهدف إلى تكوين فئة قتالية عنصرية غير قابلة للامتزاج ولا المصالحة أو المهادنة مع الشعوب، مشبعة بالحق وروح الانتقام، ولا تعرف الرحمة أو الشفقة، منظمة

١ - الواقع الداخلي لليهود وما كانوا يرتكبونه من الذنوب والمعاصي التي كشف عنها القرآن من الكفر، وقتل الأنبياء وأكل أموال الناس بالباطل، وإثارة الفتن وإيقاد نار الحروب بين الناس، فكفرهم وقتلهم الأنبياء بغير حق دليل على ذهاب هبة الدين وجلاله من نفوسهم، فلا حرمة له عندهم تمنعهم من التلاعب والتحريف، بل ولا تمنعهم من أن يشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، وقد توعد القرآن فريقاً منهم لجرائته في الافتراء على الله للتكسب المادي^(١١) قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قليلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٣٤].

٢ - سبب خارجي؛ حيث سلط الله عليهم بذنوبهم من يسومهم سوء العذاب من الأمم التي حولهم، فأذلّوهم غاية الإذلال، وسلّبوهم سلطانتهم، فأصبحت أمورهم بيد غيرهم، قال

تنظيماً شبه عسكري باسم الدين لإخفاء وتبرير غاياتهم الإجرامية^(٨٧).

ولذلك جاء يعكس أحقاد اليهود ونقمتهم على الأمم والشعوب، ومخططاتهم للانتقام من الشعوب والسيطرة عليها. وقد حرص كُتَّابُ التلمود على تجميع اليهود بحيث أحكموا القبضة عليهم، فظلوا تحت سيطرة زعمائهم الكاملة^(٨٨)، وكان أسلوبهم في إحكام القبضة تفخيم شأن التلمود وإلباسه هالة من التقديس أعظم مما للتوراة، فعدوا مخالفته أشد من مخالفة التوراة^(٨٩)، وأكثرها فيه من الوعد والوعيد؛ الوعد بقيام مملكة (يهوه)^(٩٠)، والوعيد من عقوبة يهوه المؤكدة للمخالفين من اليهود إن لم يقتلوا أعداءهم^(٩١). كما أن هذه التعاليم جاءت متوافقة مع نفسية اليهود وما تكنه بواطنهم من الشر والالتواء وسوء الطوية، حتى ليتساءل الباحث: أيها صنع صاحبه؟! وأيها الأثر أو المؤثر؟!^(٩٢).

وهذه التعاليم هي التي تقوم عليها حياة اليهود اليوم، وتنبت منها عقائدهم وأخلاقهم

ومفاهيمهم، يقول ابن حزم: "والتلمود هو مَعَوَّلُهُمْ وعمدتهم في فقههم وأحكام دينهم وشريعته، وهو من أقوال أحبارهم بلا خلاف من أحد منهم"^(٩٣)، ويقوم كله على أساس أن اليهود هم شعب الله المختار وأنهم جزء من الله، وهذا ما يكشفه القرآن عنهم ويكذبه قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة: ١٨]، وأن من سواهم من الأمم والشعوب إنما هم (غويم)، أي: بهائم^(٩٤)، ولذلك لا حرمة لحقوقهم، لذلك هوجم مهاجمة عنيفة من قبل المسيحيين في العصور الوسطى باعتباره المصدر الأهم للتعاليم اليهودية التي تدفع اليهود إلى مقاومة السلطة والدين المسيحي سرّاً وعلانية، وباعتباره مصدر الشر الكامن في اليهود، وأجمعت كلمة الملوك والباباوات على منعه وتحريمه، لذلك صدرت الأوامر بمنع تداوله ومصادرته وحرقه، فعمد اليهود إلى تهذيب وحذف الكثير مما يثير نقمة الشعوب^(٩٥)، وظلوا حريصين غاية الحرص على إخفاء النسخ

الأصلية عن الناس^(٩٥).

ثانياً: تاريخ النصرانية وأثره على توثيق أصولها النصية

أما النصرانية فقد تعرضت لأحداث عديدة عنيفة ومؤثرة كان لكل منها أثره البالغ على الديانة نفسها إجمالاً وعلى نصوصها الدينية على وجه الخصوص، ويمكن أن نجمل هذه الأحداث بنقاط بارزة، هي:

١- الاضطهاد الروماني: ظهرت النصرانية وسط اليهود الذين كانوا يعيشون رعايا مبغوضين في ظل الدولة الرومانية الوثنية، وكانت الدولة لا تتدخل بأي صراع ديني داخلي بينهم ما لم يكن منه خطر سياسي، وقد نجح اليهود في تدبير وشاية تصور دعوة المسيح عليه السلام بحركة سياسية ذات خطر بعيد على الدولة، مما دفعهم إلى السعي للقبض عليه كما سبق، ثم أمعنوا في مطاردة أتباع المسيح والحواريين بعد ذلك حيث نالهم الكثير من الإيذاء والتنكيل، فقتل الكثير ووقع آخرون تحت السجن والتعذيب، ولجأ آخرون إلى التخفي والفرار، ومنهم من انتقل إلى بلاد بعيدة

وأخذ ينشر بها تعاليم دينه، وفي هذه الآونة تبنى بولس اليهودي الديانة المسيحية، وصاغها بصياغة جديدة على غير ما يعرفه الحواريون عن عيسى عليه السلام، ودخلت الفتان في صراع، وفي كل ذلك ليس للنصارى نفوذ ولا سلطان ولا شوكة تحميهم وتحمي دينهم، وفي وسط هذا الجو كما يذكرون دونت أناجيلهم الأربعة التي يؤمنون بها ورسائلهم^(٩٦)، وقد استمر هذا الحال قريبا من ثلاثمائة سنة، وكان أشد ما تعرضوا له من إيذاء في الأزمنة التالية^(٩٧):

١- في زمن الإمبراطور نيرون سنة ٦٤م، حيث تعرضوا لأبشع أنواع التعذيب، وقتل بطرس وبولس، وفي هذا العهد كتب كل من إنجيل مرقس ولوقا.

٢- في زمن الإمبراطور دمتيانوس، سنة ٩٠م، وفيه كتب يوحنا إنجيله في إفسس باللغة اليونانية.

٣- في زمن الإمبراطور تراجان، سنة ١٠٦م، حيث أمر بإبادة النصارى وحرق كتبهم، فحدثت مذابح مروعة قتل فيها يعقوب البار أسقف أورشليم.

منها سند ثبت صلتها بعبسى عليه السلام، مما جعل مناظرهم يقرون بأن تلك الاضطهادات كانت سبباً في فقد سندها المتصل بصاحب الشريعة، وهذا يعد اعترافاً ضمناً منهم أنهم ليسوا على شيء، يقول الشيخ رحمة الله الهندي: "طلبنا مراراً من علمائهم الفحول السند المتصل، فما قدروا عليه، واعتذر بعض القسيسين في محفل المناظرة التي كانت بيني وبينهم فقال: إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة، وتفحصنا في كتب الإسناد لهم فما رأينا فيها شيئاً غير الظن والتخمين... وقد قلت إن الظن في هذا الباب لا يغني شيئاً"^(٩٠).

٢- المكائد اليهودية: بدأت المكائد اليهودية للنصرانية من عهد المسيح عليه السلام حين وجدوه لا يحقق لهم الأطماع السياسية العنصرية التي يتظرونها من المخلص الموعود حسب تفكيرهم، بل وجدوه منكراً عليهم هذه النزعة، داعياً إلى محبة الأعداء لنزع فتيل العداء العنصري الذي يتعامل به يهود مع

٤- في زمن الإمبراطور ديسيوس، سنة ٢٤٩-٢٥١م^(٩١).

٥- في زمن الإمبراطور فاليريان، حيث تجددت حملات الاضطهاد وصودرت ممتلكات الكنيسة ولقي كثير مصرعهم^(٩٢).

٦- في زمن الإمبراطور دقلديانوس سنة ٢٨٤، حيث أمر بهدم الكنائس وإحراق الكتب، وأصدر أمراً بالقبض على الأساقفة والرعاة وزجهم في السجون، وقهر المسيحيين وحملهم على إنكار دينهم، وقد استشهد منهم في عصره ما يزيد على مائة وأربعين ألفاً وقيل ثلاثمائة ألف^(٩٣).

٧- في زمن الإمبراطور داويو قتلان سنة ٣٠٣م، حيث أمر بهدم جميع الكنائس، وحرق الكتب المقدسة^(٩٤).

وكان لهذه الفترة الطويلة من التضييق والمطاردة والقتل والتشريد والتنكيل إضافة إلى أسباب أخرى أثارها السلبية، من أبرزها فقدان الإنجيل الصحيح وفساد النصرانية^(٩٥) وظهور أناجيل عديدة بلغت ثمانين إنجيلاً^(٩٦) لم يبق منها إلا الأربعة المشهورة وليس لأي

غيرهم، كما جاء ينكر عليهم الكثير من المفسد
التي يرتكبونها باسم الدين، ويصحح لهم
التوراة التي حرفوها، لذلك وقفوا منه موقف
العداء، وهذه طبيعتهم التي يكشفها القرآن
حيث يقول: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ
وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا
لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ
وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]، ولما لم تكن لهم
سلطة في تلك الفترة وشؤا به إلى الحاكم
الروماني كما سبق بيانه.

وتزامن مع مرحلة الاضطهادات
والمحن - كما أشرنا من قبل - أن اعتنق
النصرانية رجل من ألد أعدائها هو شاول
الذي تسمى باسم بولس، كان هذا الرجل ذا
مكانة في اليهودية متقدماً على كثير من أقرانه،
وكان من أشد الناس اضطهاداً لأتباع المسيح
عليه السلام بعد رفعه، وفجأة تحول إلى مُبَشِّرٍ
بالنصرانية ومعلماً فيها من غير أن يتلقى شيئاً
من المسيح أو أحدٍ من حواربيه، مُدَّعياً بقصة
عجيبة ظاهرة الصناعة أنه التقى بالمسيح، وأنه
يتلقى منه المعلومات مباشرة، وأدخل على

النصرانية الكثير من المفاهيم التي أنكرها عليه
الحواريون وتلاميذهم والتي لم يقلها عيسى
نفسه، فادعى الرسالة العالمية، وألوهية المسيح
عليه السلام، ويُنَوِّته الله تعالى، وزعم أنه صلب
ومات كفارة عن خطيئة آدم التي سَرَتْ في
أولاده، وجعل في رسائله للروح القدس
أعمالاً إلهية كانت الأساس للمجامع اللاحقة
في إقرار عقيدة التثليث، ونسخ بولس كل
أحكام الشريعة الموسوية، وأدخل تشريعات
روما الوثنية وتشريعات متعددة أخذها من
أديان وثنية كانت معروفة في زمانه، وخرج
بدين جديد لا يمتُّ لعيسى عليه السلام بصلَّةٍ
موهماً أنه دين عيسى عليه السلام، وكان
ادعاؤه لعالمية الرسالة لتحويلها عن بني
إسرائيل إذ كانت خاصة بهم، ليقبى اليهود
محتفظين بما عندهم من النزعة التلمودية،
رافضين لأي تصحيح يردهم إلى الحق، وأخذ
يهاجم كل من خالفه أو أنكر عليه^(١٠٠). ويمكن
أن نفسر عمل بولس هذا أنه تدبير ومكر
تلمودي مدروس لتخريب النصرانية وإفسادها
من الداخل^(١٠١) حين عجز عن القضاء عليها

بأسلوب العنف والشدة، وبهذا دخلت النصرانية في ميدانين من الصراع؛ صراع مادي جسدي يقوم على التصفية الجسدية من قبل الرومان الوثنيين انبعث في الأصل من دسائس يهودية، وصراع داخلي بين معتنقي النصرانية من أتباع الحواريين وأتباع بولس، وكان هذا الصراع في صلب العقيدة والمفاهيم التي تَمَسُّ جوهر الدين وحقيقته.

وما يؤكد وقوف اليهود وراء هذه المكائد التي نزلت بالمسيحية بقصد القضاء عليها أنهم أقاموا جمعية سرّية عرفت باسم (القوة الخفية) لمواجهة المسيحية والقضاء عليها، وكان ذلك سنة ٤٣م، وكان يتزعم هذه الجماعة يهوديان هما: حيروم ومؤاب لاوي^(١٠٧).

وإذا كان الكيد للنصرانية قد تبَنَّته جمعيات يهودية تقوم بعمل منظم هادف، فليس غريباً أن تكون وراء عمليات مزج النصرانية بأفكار ومعتقدات من الأديان الوثنية التي كانت سائدة قبل ظهور النصرانية، وفي الكشف عن هذا الاتجاه ينقل الأستاذ زهدي الفاتح في كتابه (اليهود) وثيقة تضمنت

الخطاب اليهودي المفتوح إلى نصارى العالم الذي وجَّهه الكاتب اليهودي ماركوس رافاح، نشرته مجلة (القرن) الأمريكية في عدد كانون الثاني- شباط، سنة ١٩٢٨م جاء فيه: "إنكم أيها المسيحيون لا تنقمون على اليهود لأنهم صلبوا المسيح بل لأنهم أنجبوه... إن نزاعكم الحقيقي مع اليهود ليس لأنهم لم يتقبلوا المسيحية بل لأنهم فرضوها عليكم... إنكم أيها المسيحيون تهموننا بإشعال الثورة البلشفية التي لا تعدو أن تكون نقطة في بحر الثورة التي أشعلها بولس اليهودي في روما... لم تستأوون منا وقد وضعنا العوائق في طريقكم وفرضنا عليكم كتاباً وديناً غريبين عنكم لا تستطيعون بلعها وهضمها؟"^(١٠٨).

وكان لهذا الجو الذي جمع بين الاضطهاد والملاحقة، ودخول عناصر تهدف إلى إفساد الدين من الداخل، وعدم وجود نفوذ وقوة تحمي النصرانية من أعدائها، وتأثر بعض الكنائس بالفلسفات اليونانية، هذه الأمور مجتمعة أدت إلى وجود فوضى وانفلات ديني، وفقدان النصرانية على العموم لمرجعية معتمدة،

كل ذلك أدى إلى ظهور فرق لا حدها.

٣- العصر الذهبي: يعتبر مؤرخو الكنيسة أن عهد تربع الإمبراطور قسطنطين على عرش الإمبراطورية الرومانية عام ٣١٢م هو العصر الذهبي للنصرانية^(١٠٠)، حيث تغيرت الظروف السابقة تغيراً جذرياً بتحول الإمبراطورية الرومانية العريقة في وثنيها إلى إمبراطورية مسيحية بثلاثة قرارات متتالية صادرة عنه؛ الأول: الاعتراف بالمسيحية ديناً مشروعاً ومعترفاً به. الثاني: اعتناق الإمبراطور نفسه له، وجعل القدس عاصمة مقدسة للمسيحية. الثالث: صدور قرار إمبراطوري تعتبر بموجبه الديانة المسيحية هي دين الإمبراطورية في الشرق والغرب^(١٠١). وكان من مقتضيات هذا التحول رفع البلاء والاضطهاد عن النصارى، بل وتقريبهم من الإمبراطور وإسناد الوظائف الكبيرة إليهم، واتخاذ الصليب شعاراً للدولة، وهذا يدل على أن الدولة قد تبنت عقيدة الصلب التي أدخلها بولس.

كان لهذا التحول آثاره العديدة من أبرزها؛ نشاط الدعوة إلى النصرانية وانتشارها بين

الوثنيين وأصحاب الفلسفات اليونانية، الذين دخلوا النصرانية على ما تحويه رؤوسهم من العقائد الوثنية والآراء الفلسفية، كما رفعت الفرق النصرانية العديدة التي كانت قد نشأت وتنامت في ظل الانفلات والفوضى الدينية رأسها، وظهرت معها أناجيل عديدة متضاربة متناقضة بلغت أكثر من خمسين إنجيلاً كل فرقة تدعي أن إنجيلها هو الصحيح وترفض الأناجيل الأخرى^(١٠٢).

ومما يجدر ذكره أن قسطنطين لما أعلن دخوله في النصرانية وجدها تعج بالخلافات التي تَمَسُّ جوهر العقيدة؛ فمن قائل بالوهية المسيح وأمه، ومن قائل بالوهيته وحده، ومن قائل بوجود ثلاثة آلهة، في حين كان يعلن آريوس أحد قساوسة كنيسة الاسكندرية أن المسيح مخلوق، وأنه ليس أزلياً ولا مساوياً للأب، وكان له أنصار كثيرون، وقد عبر القرآن عن هذا الخلاف بقوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّسْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: ٣٧]، فما كان من الإمبراطور قسطنطين إلا أن أمر بعقد اجتماع

عام يجمع كل أصحاب هذه الآراء للاتفاق على عقيدة واحدة حرصاً منه على استقرار الدولة، فاجتمع في نيقية ٢٠٤٨ أسقفا منهم ٣١٨ يقولون بالوهية المسيح، وبعد مناظرة جرت بين الفريقين، جنح الامبراطور إلى رأي القلة وهم القائلون بالوهية المسيح^(١١١)، وفي ذلك يقول ابن البطريق: "وضع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً مجلساً خاصاً عظيماً، وجلس في وسطهم وأخذ خاتمه وسيفه وقضيه، ودفعه إليهم وقال: قد سلطتكم اليوم على مملكتي، لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوا، مما فيه قوام الدين، وصلاح المؤمنين، فباركوا الملك وقلدوه سيفه وقالوا له: أظهر دين النصرانية، وذُبَّ عنه، ووضعوا له أربعين كتاباً فيها السنن والشرائع، منها ما يصلح للملك أن يعلمه ويعمل به، ومنها ما يصلح للأساقفة أن يعملوا به"^(١١٢).

وانتهى هذا المجمع بالقرارات التالية^(١١٣):

١- لعن آريوس الذي يقول بالتوحيد ونفيه وحرق كتبه، وإقرار قانون ينص على ألوهية المسيح.

٢- وضع عشرين قانوناً لتنظيم شؤون

الكنيسة والأحكام الخاصة بالإكليروس.

٣- الاعتراف بأربعة أناجيل فقط: (متى، ولوقا، ومرقس، ويوحنا) وبعض رسائل بولس وبعض رسائل العهد الجديد، وحرق باقي الأناجيل لخلافها عقيدة المجمع.

وبهذا دخلت النصرانية في أكبر منعطف تاريخي، تمثل بإقصاء دين التوحيد الذي جاء به المسيح عليه السلام، وإحلال الوثنية مكانه متقمصة اسم المسيحية ولايسة ثوبها، وفُرضت على الناس فرضاً، وأصبحت المسيحية الوليدة مطية لأغراض السلطان، كما تم وأد الأناجيل التي يمكن أن تحمل المعالم الحقيقية لما جاء عن المسيح عليه السلام. وبهذا يتبين أن ما تعده الكنيسة هو العصر الذهبي للمسيحية كان كذلك بالنسبة لمذهب بولس، ولكنه يمثل القضاء والإجهاز على رسالة عيسى عليه السلام وحواريه.

وتتميماً للفائدة لا بد من الوقوف عند منعطف تاريخي مرت به تلك النصوص، وهو تاريخ تدوينها وما يتعلق به من ملابسات؛ كتحديد شخصية الكاتب، وتاريخ الكتابة،

المسيحية. ثم كان انتصار المسيحية البولسية على المسيحية اليهودية انتصاراً بطيئاً وبشكل تدريجي شديد التدرج^(١).

ومما يتوافق مع هذه الحقيقة ما أكدته مقدمة الترجمة المسكونية للعهد الجديد التي تضافرت على إخراجها جهود أكثر من مئة متخصص من علماء اللاهوت الكاثوليك والبروتستانت أن أول ظهور للكتابات الانجيلية كان في منتصف القرن الثاني الميلادي وبالتحديد بعد عام ١٤٠م، في حين كانوا يعرفون عدداً كبيراً من رسائل بولس قبل ذلك التاريخ، والأنجيل التي تعترف بها الكنيسة ولا تعترف بها سواها لم تعرف إلا في عصر متأخر، وبدأ ذكر الروايات المتعلقة بها في منتصف القرن الثاني، كما تعجز عن القطع بأن هذه الأنجيل تقرر نسبتها إلى مؤلفيها المنسوبة إليهم اعتماداً على نصوص مكتوبة أو على تراث شعبي يعتمد على الذاكرة والروايات الشفهية المتداولة. وتؤكد هذه المقدمة على أنه لم يكن هناك بأي حال ما يدل على وجود كتابات للأنجيل تحريرية، كما تحدد هذه المقدمة تاريخ

ولمن كتبت، واللغة التي كتبت بها والتي انتشرت واشتهرت بها، وملابسات الترجمة؟ وحين نطالع تاريخ الأنجيل ومقدماتها نجد أنفسنا بين اتجاهين: اتجاه تتبناه الكنيسة حيث تقدم الأشخاص الذين ينسب إلى كل منهم تحرير وكتابة أحد الأنجيل على أنه شاهد عيان، ويطلبون من الناس أن يأخذوا هذا الزعم مأخذ التسليم، ويحاولون طمس وقويه الدلائل التي تثير الشكوك حول هذه الدعوى. واتجاه آخر يتبناه الباحثون يدعو إلى البحث والتحري، ويكشف عن رؤية جديدة للأصول المسيحية تختلف تماماً عن سياق المعلومات التي زودت بها الكنيسة عامة الجمهور طوال قرون متعاقبة من الزمان^(٢).

وأهم حقيقة يجب إبرازها هي أن الحقبة التاريخية التي مرت بها المسيحية بعد المسيح عليه السلام، وامتدت إلى منتصف القرن الثاني، أي حوالي مئة وخمسين عاماً قد شهدت معركة مستعرة بين اتجاهين رئيسيين أحدهما يمكن لنا أن نسميه بالمسيحية البولسية نسبة إلى القديس بولس، والثاني هو اليهودية

وإضافة إلى هذا الغموض والخلاف الذي يلف تاريخ ظهور الأناجيل المعتمدة وخفاء الأناجيل الأخرى، فإننا نجد ثغرات عديدة تضعف القيمة العلمية للأناجيل المشهورة، فلا نكاد نجد أياً منها قد عُرف كاتبه بيقين، وإذا نسب إلى كاتب بلا خلاف فليس بينه وبين الناقلين صلة، كما نجد ثغرات حول اللغة التي كتبت بها، ولمن كتبت، وغير ذلك من الثغرات وإليك بيان ذلك بإيجاز:

فإنجيل متى لا تجد مخالفاً في نسبته إليه مع غموض هذه الشخصية^(١٢١)، ولكن أحداً لم يقطع بتحديد اللغة التي كتب بها: أهى العبرية أم السريانية؟ كما لم يعرف تاريخ كتابته^(١٢٢)، ولا تاريخ ترجمته إلى اللغة اليونانية التي اشتهر بها، ولا شخص المترجم ولا مدى معرفته باللغة المترجم منها والمترجم إليها، مع اتفاق المؤرخين على فقدان النسخة الأصلية المترجم عنها، مما يقطع الصلة بين الأصل والفرع، ويُفوّت الفرصة على أي باحث أن يربط أو يقارن بينهما^(١٢٣).

وأما إنجيل مرقس فإن كاتبه لم يكن من

ظهور هذه الأناجيل الأربعة واكتسابها مكائنها كأناجيل معتمدة كان بتاريخ محدد هو العام ١٧٠ بعد الميلاد^(١٢٤).

في حين يشاع بين النصارى أن كلمة الإنجيل كانت تطلق على مذكرات الرسل قبل عام ١٥٠، ثم يحاولون إثبات تاريخ تدوين لكل إنجيل يقترب من عصر المسيح لإيهاام العامة أن كتابها كانوا من الرسل (الحواريين).

والواقع أن هذه الأناجيل الأربعة والمجموعة التي اختيرت منها، ومذكرات الرسل كلها غير الإنجيل الذي جاء به عيسى عليه السلام، فقد جاء في إنجيل مرقس على لسان عيسى عليه السلام: "إذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليفة"^(١٢٥) وجاء كذلك: "قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل"^(١٢٦).

فهذا يدل على أنه كان يوجد إنجيل واحد في زمن عيسى عليه السلام هو الذي يدعو إليه، وهو غير هذه الأناجيل التي لم تكن حينها موجودة^(١٢٧)، فأين ذهب ذلك الإنجيل؟!.

الحواريين، مع الاختلاف في شخص المؤلف هل هو بطرس أم مرقس؟ حيث يقولون بأن مرقس كتبه بتدبير من بطرس^(١٢١)، وفي تاريخ ابن البطريق: أن الذي كتبه بطرس رئيس الحواريين ونسبه إلى مرقس^(١٢٢). ويقول آرينوس: إن مرقس كتبه بعد موت بطرس وبولس^(١٢٣)، وهذا يتوافق مع قول يابباس: بأن مرقس كتب إنجيله بكل دقة مما تذكره من أقوال وأعمال الرب (يعني به يسوع)، ولكن ليس بالترتيب لأنه لم يسمع من الرب، وذكر من تعاليم السيد ما يوافق حاجة السابقين دون أن يهدف إلى كتابة كل ما قاله الرب وعمله^(١٢٤)، وهذا يدل على أنه لم يكتب إنجيله بإلهام وإنما كتبه من الذاكرة، كما أنه لم يسمع من الرب ولم يذكر سنده إليه، كما أنه كتب ما يوافق حاجة السامعين ولم يهدف إلى كتابة كل ما قاله الرب وعمله، وهذا يعني أنه ناقص غير جامع لكل ما حواه الإنجيل، على فرض صحة الموجود.

أما اللغة التي كتب بها، فلم يخالف أحد أنه كتب باليونانية^(١٢٥)، ولكن التساؤل الذي يُطرح: هل كانت هي لغة المسيح عليه

السلام؟ أو لغة الحواريين؟ أو اللغة السائدة في فلسطين؟ ولم كتب بغير اللغة التي نزل بها؟ أما عن تاريخ تدوينه فقد قيل إنه كتب سنة ٥٦ أو ٦٠ أو ٦٣ ميلادية^(١٢٦).

وأما إنجيل لوقا فقد اختلفوا في أصل كاتبه ومولده وصناعته، واتفقوا على أنه ليس من الحواريين ولا من تلاميذهم، وإنما هو تلميذ بولس^(١٢٧)، ومعلوم من هو بولس وما عمله في النصرانية.

كما يختلفون لمن كتب هذا الإنجيل؛ هل كتب لليونانيين أم كتب للمصريين؟ أم هو مجرد رسالة شخصية إلى صديق للكاتب؟ ومن هو هذا الصديق؟ كل هذه التساؤلات على ما تكشفه من ثغرات تدل بمجموعها على أن كاتبه لم يكن قاصداً إلى تدوين الوحي الذي نزل على عيسى عليه السلام، ولم يدَّع أنه يدون الإنجيل، وإنما يكتب معرفته الشخصية وتتبعاته، فكيف عدَّ هذا الكتاب إنجيلاً وأقحم على ساحة النصرانية؟^(١٢٨)

كما يختلفون اختلافاً كبيراً في تاريخ تدوين هذا الإنجيل بين قائل بأنه كُتب ما بين

الجليلي، فإن أعمالهم تضيع سدى لخطبهم على غير هدى^(١٢٤)، إشارة إلى أن هذا الكتاب مشحون بالمصطلحات الفلسفية التي لم يعرف بها يوحنا الحواري وإنما عرفها يوحنا الطالب الفلسفي الإسكندري^(١٢٥).

أما عن تاريخ كتابة هذا الإنجيل فقد اختلف فيه اختلافاً واسعاً، فقيل: إنه سنة ٦٨ أو سنة ٩٥ أو سنة ٩٦ أو سنة ٩٨ م^(١٢٦).

وهذه التواريخ على ما فيها من الاضطراب والاختلاف تتعارض مع الدراسات التحقيقية التي تفيد بأنه لم يكن قبل سنة ١٤٠ م أي شهادة تثبت أن الناس عرفوا مجموعة من النصوص الإنجيلية المكتوبة^(١٢٧) والذي يغلب على الظن أن رسائل بولس كانت مكتوبة قبل ظهور الأناجيل واستعملوها في حياتهم الكنسية وكانت أكثر شهرة من الأناجيل^(١٢٨).

وأعمال الرسل لا يُعرف كاتبها على وجه التحديد، وإن كان يغلب على الظن أنه كاتب إنجيل لوقا لما بينهما من التشابه في المخاطب بهذا السفر^(١٢٩)، وإذا كان كاتب الإنجيل مختلفاً

سنة ٥٨-٦٠، وقائل بأنه كتب سنة ٥٣ أو سنة ٦٠، أو سنة ٦٤^(١٣٠)، وإن اتفقوا على أن اللغة التي كتب بها هي اليونانية، فإن ذلك يثير التساؤل الذي يُثار حول إنجيل مرقس.

أما إنجيل يوحنا فأول ما يطالعك في التعرف على نسبه أنه مقطوع النسب والصلة إلى من يُنسب إليه، وأول من أنكر هذه النسبة أرينوس تلميذ بوليكارب تلميذ يوحنا الحواري، ولم يدافع عنه حين شاع بين الناس إنكار هذه النسبة، وأقرت دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تأليفها خمسمائة من علماء النصارى أنه كتاب مُزوّر حيث جاء فيها: (أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مُزوّر أراد صاحبه مضادة اثنين من الحوارين بعضهما لبعض..)^(١٣١)، وقد انتحل الكاتب شخصية يوحنا الحواري، وتلقى النصارى هذا الادعاء من غير تمحيص. وجاء في دائرة المعارف البريطانية أيضاً: (وإننا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفي الذي ألّف هذا الكتاب الثاني بالحواري يوحنا الصياد

قدم للحديث عن البعثة النبوية بمقدمات تتحدث عن ولادته ونسبه ونشأته، فهي من المتممات والمتعلقات الضرورية التي تكشف عن منزلة محمد ﷺ ومكانته، وتهيئة الله تعالى له، وما جعله برهاناً على صدقه، حيث نشأ أمياً بين أمة أمية، لم يختلف إلى كتاب ولا معاهد ولا معاقل للعلم، وكان أحب ما لديه التحنُّ بعزلة يتعد بها عن جاهلية القوم وصخبهم، وقد بُغِضت له أوثانهم ومنكراتهم فطرة، دون أن يكون له موقف معلن في رفضها، وبعد مضي أربعين سنة من عمره بدأ يعلن أنه يتلقى وحياً من السماء، وأصبح يأتي بعلوم ومعارف لم يكن يعلمها هو ولا قومه من قبل ذلك. كانت هذه هي بداية تنزّل القرآن على محمد ﷺ، وما مضى ثلاث وعشرون سنة حتى أظهره الله تعالى على مخالفيه، وحفظ عنه أصحابه الكثير من الأقوال والأفعال والحكم والأحكام والتوجيهات في مواقف عديدة، وما فارق الدنيا حتى كان دينه قد عمّ الجزيرة العربية بأكملها، وقبل وفاته بنحو من ثلاثة أشهر نزلت عليه آية تعلن اكتمال دينه ووفاء شريعته، وذلك قوله

فيه اختلافاً يفقده الصلة بالوحي فما بالك بهذا السفر؟.

أما رسائل بولس فقد علمت من هو بولص وما عمله في النصرانية، وإن أهم ما يجب أن نذكر القارئ به أنه ليس من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ الخواريين، ولم تكن له أي علاقة تفيد التلقي عن أي منهم، بل كان عدواً شديداً للعداوة لهم، ثم ظهر بأفكار أنكرها عليه الخواريون وكان بينه وبينهم تنافر شديد.

على أن هذه الوثائق المكتوبة لم تكتسب الاعتراف القانوني دفعة واحدة، وكان هناك ما هو أشهر منها وأكثر أنصاراً وقبولاً، وكان لمجمع نيقية الموقف الحاسم في الاعتراف بما تم الاعتراف به، وإقصاء كثير منها دون ضابط علمي وقد يكون أولى منها بالقبول مما جعلها في عداد المنحول (أبوكريفا) الذي سبق الحديث عنه.

ثالثاً: التاريخ الإسلامي وأثره على توثيق النصوص:

بدأ التاريخ الإسلامي مُقترناً ببعثة محمد ﷺ فهو البداية الحقيقية لهذا الدين، وإذا

تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

لكل من له معرفة باللغة وتذوق لأساليب الكلام.

ولهذا نفرد لكل نوع ما أحاط به من أسباب الحفظ ووسائل الضبط. وبيان ذلك على النحو التالي، وهو الإجابة عن الشق الثاني من السؤال.

أولاً: وسائل حفظ القرآن الكريم:

١ - أول ما يطالعنا من أسباب حفظ القرآن هو الذكاء وسرعة الحافظة التي تميز بها النبي ﷺ، مع حرصه الشديد على ذلك، ومعونة الله تعالى مع تكفله له أن يجمعه في صدره، فكان إذا نزل عليه الوحي يحرك لسانه وشفتيه حرصاً على الحفظ، فأنزل الله عليه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٦-١٧]. (أي علينا جمعه لك في صدرك) ﴿فَإِذَا قُرَأَتْهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨] (أي فاستمع له وأنصت)، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه^(١٠٠).

وكان ﷺ يعي ما ينزل عليه تمام الوعي فلا يتفقت منه شيء، ومن شأن الأمي أن يُعوّل

والسؤال الذي يتولى هذا البحث الإجابة عنه من شقين هما: ما أنواع النصوص التي صدرت عنه ﷺ؟ وكيف تم ضبطها ونقلها؟

أما أنواع النصوص التي صدرت عنه ﷺ فنوعان: القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة.

إن أول ما يلفت الأنظار ويجدر ذكره والتنويه إليه أن التمييز كان واضحاً وقاطعاً بين نوعي النص اللذين صدرا عن شخصه ﷺ تمام الوضوح لكل أصحابه، وكل من أخذ عنهم، لم يختلط أحدهما بالآخر، حيث كان بين ما نزل عليه بلفظه ومعناه، محدوداً بسور معلومة مسماة باسم مخصوص ذات مطلع ومقطع، تحوي عدداً من الآيات المحددة التي لا زيادة فيها ولا نقص، وكان ﷺ يأمر بتدوينه وضبطه دون سائر الكلام، وما سواه مما صدر عنه ﷺ فهو الحديث النبوي الشريف، مع ما بينهما من التمايز الظاهر في القوة والأسلوب ومستوى البلاغة

على حافظته فيما يهيمه أمره ويعنيه استظهاره وجمعه، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول)^(١١١).

٢- وكان ﷺ يبادر إلى قراءة ما ينزل عليه على أصحابه تنفيذاً لمهمته التي أقامه الله تعالى بها، من تبليغ كتابه وتلاوة آياته، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، وكان الصحابة يتلقونه بشغف وشوق فيحفظونه ويستظهرونه ويتنافسون في ذلك، ويقومون به آناء الليل، وكانوا قوماً على مستوى من الصفاء الذهني وتفتح القريحة وسرعة الحافظة، وقد بعث في قوم هذه صفتهم؛ سجلاتهم أذهانهم ووثائقهم صفاء حافظتهم، بها يتناقلون أشعارهم ويدونون

أخبارهم ووقائع أيامهم، وقد حفظ القرآن في عهد النبي ﷺ من الصحابة من لا يحصون عدداً، وقد استشهد منهم يوم بئر معونة سبعون، كما استشهد يوم اليمامة مثل ذلك^(١١٢).

٣- وكان ﷺ لا يكتفي بالتوثيق اعتماداً على حفظه وحفظ أصحابه، بل كان يأمر المتقين للخط العربي منهم أن يدونوا ما ينزل من القرآن على وسائل الكتابة المتاحة حال نزوله، يسمون كتاب الوحي، قال زيد بن ثابت رضي الله عنه: (كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع)^(١١٣). وعن البراء رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (النساء: ٩٥) قال النبي ﷺ: "أدع لي زيدا، وليجيء باللوح والدواة والكتف، أو الكتف والدواة، ثم قال: أكتب لا يستوي القاعدون"، وخلف ظهر النبي ﷺ عمرو بن أم مكتوم الأعمى^(١١٤)، قال يا رسول الله فما تأمرني؟ فإني رجل ضريب البصر؟ فنزلت مكانها: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١١٥) [النساء: الآية ٩٥]. وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: (كان

رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: «ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا» وإذا نزلت عليه الآية فيقول: (ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا)^(١٤٣)، وكان يكتب للنبي ﷺ الخلفاء الأربعة، وأبي بن كعب، والزبير بن العوام، وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص بن أمية، وحظلة بن الربيع الأسدي، ومعقيب بن أبي فاطمة وعبد الله بن الأرقم الزهري، وشرحيل بن حسنة، وعبد الله بن رواحة، وآخرون^(١٤٤).

٤- من أهم وسائل ضبط النص القرآني وصيانتة المداومة على معارضته طوال عهد النبوة من خلال جبريل عليه السلام حيث كان يعارض القرآن مع رسول الله ﷺ في كل عام في شهر رمضان، وفي العام الذي قبض فيه عارضه مرتين، عن فاطمة عليها السلام: «سُرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ: (أن جبريل كان يُعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنَّه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي)^(١٤٥)، وعن ابن عباس رضي الله

عنها قال: (كان النبي ﷺ أجودَ الناس بالخير، وأجودَ ما يكون في شهر رمضان، لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجودَ بالخير من الريح المرسلة)^(١٤٦).

وما أن التحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى حتى كان القرآن جميعه محفوظا بطريقتين^(١٤٧) كل طريقةٍ تُوَازر الأخرى لو توقف النقل عليها لكانت كافية في قطعية النقل وقوة التوثيق، أولاها: الحفظ في الصدور، ذلك أنه كان جَمٌّ غفير من الصحابة قد استظهروه حفظاً وأتقنوه ضبطاً، وقد أنقنوا صورة أدائه الصوتي حتى لا تخفى عليهم الغُنة ولا الهمسة ولا المدَّة ولا الإقلاب أو الإدغام، إلى غير ذلك من الأحكام التجويدية التي ضبطوها على اختلاف الحروف التي نزل عليها القرآن، قد أحكم كُلُّ ما تلقاه مشافهة من النبي ﷺ. وثانيها: الجمع في السطور، حيث ما بقيت سورة من سور القرآن إلا تم توثيقها كتابة بين يدي النبي ﷺ من قبل كتاب الوحي، ومما يذكر

أنه كتب بلغته التي نزل بها باللسان العربي المبين، مما لا يدع ثغرة تفتح مجالاً للشك أو الوهم أو الاحتمال.

وقبل أن يتم تغيب جثمانه الشريف ﷺ في الثرى الطاهر الذي شُرّف بمجاورته حتى كان الصحابة رضوان الله عليهم قد احكموا أمرهم واجتمعوا على خيرهم، وبايعوا أبا بكر ﷺ على الخلافة، فلم تتفرق كلمتهم، ولم يغلبهم على أمرهم أحد من أعدائهم، بل ظلوا ظاهرين متمكنين، وكان الحرص على حفظ القرآن والاحتياط له من أولويات أعمالهم، فقد حظي القرآن بعناية عظيمة من أبي بكر الصديق ﷺ، فعن زيد بن ثابت ﷺ قال: (أرسل إليّ أبو بكر الصديق مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر: إنَّ عمر أتاني فقال: إنَّ القتل قد استحرَّ بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحرَّ القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، فقلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ! قال عمر: هو والله خير، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري

لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنك شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ^(١٥٤).

فتبع القرآن فاجمعه، -فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن- قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟! قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح به صدر أبي بكر وعمر. فتبعت القرآن أجمعه من العُسب^(١٥٦) واللَّخاف^(١٥٣) وصدور الرجال، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدُها مع غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما^(١٥٤).

فكان هذا أوَّلُ مُصحفٍ جَمَعَ القرآنَ كلَّه مكتوباً ومجموعاً. قد حوى القرآن كله مرتباً الآيات في سورها، تمّ تدوينه تحت رعاية الدولة ليكون وثيقة مرجعية معتمدة، وكان تدوينه على مرأى ومشهد وعلم من الصحابة

وبمعاونة كثير منهم، حيث كان ذلك يجري في المسجد^(١٥٥).

ولم تكن العناية منصبة على الكتابة فقد استمرت العناية بالحفظ والتلقي مشافهة حيث لم تنقطع حلقات تعليم القرآن من مساجد المسلمين، وكان الاهتمام بتوجيهه إلى البلاد المفتوحة بعد انتشار الإسلام فيها، فقد روى محمد بن سعد في طبقاته عن محمد بن كعب القرظي بإسناده قال: "جمع القرآن في زمان النبي ﷺ خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وأبو أيوب وأبو الدرداء، فلما كان زمان عمر بن الخطاب ﷺ كتب إليه يزيد بن أبي سفيان: إن أهل الشام قد كثروا وربلوا^(١٥٦)، وملثوا المدائن، واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم، فأعني يا أمير المؤمنين برجال يعلمونهم. فدعا عمر أولئك الخمسة، فقال لهم: إن إخوانكم من أهل الشام قد استعانوني بمن يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين، فأعينوني رحمكم الله بثلاثة منكم، إن أجبتهم فاستهموا، وإن انتدب ثلاثة منكم فليخرجوا، فقالوا: ما كنا لتساهم، هذا شيخ

كبير لأبي أيوب، وأما هذا فسقيم، لأبي بن كعب، فخرج معاذ وعبادة وأبو الدرداء، فقال عمر: ابدأوا بحمص، فإنكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة، منهم من يلقن، فإذا رأيتم ذلك فوجهوا إليه طائفة من الناس، فإذا رضيتم منهم فليقم بها واحد، وليخرج واحد إلى دمشق، والآخر إلى فلسطين، وقدموا حمص فكانوا بها، حتى إذا رضوا من الناس أقام بها عبادة، وخرج أبو الدرداء إلى دمشق، ومعاذ إلى فلسطين، وأما معاذ فمات عام طاعون عمواس، وأما عبادة فصار بعد إلى فلسطين فمات بها، وأما أبو الدرداء فلم يزل بدمشق حتى مات"^(١٥٧).

واستمر تعليم القرآن ونشره بهذه الصورة يتسع مع اتساع الفتوحات، وينساح مع انسياح المسلمين في أقطار الأرض من ممالك الفرس والروم وغيرها من البلاد التي دانت للإسلام.

ثم لقي القرآن عناية فائقة من الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ، وذلك حين دعت الحاجة إلى ذلك، وكان السبب هو اختلاف

القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق^(١٥٩). وهكذا نرى كيف تظافرت صور التوثيق حتى إن المتتبع لذلك يستطيع القطع بيقين أن القرآن الذي يتناقله المسلمون اليوم هو بعينه القرآن الذي تلقاه محمد ﷺ عن جبريل عليه السلام، عن رب العزة تبارك وتعالى، لم يزد ولم ينقص حرفاً واحداً. وبهذا تحقق للقرآن أعلى درجات التوثيق والضبط والإتقان، وهو أمر لم يحظ به كتابٌ على وجه الأرض.

ثانياً: وسائل حفظ السنة النبوية:

تميزت حياة النبي ﷺ بميزتين: أولاً أنه كان واضحاً وضوح الشمس لا يخفى من حاله شيء، يطلع أصحابه على كل أحواله حتى في شؤونه الخاصة في بيته مع زوجاته وأقربائه وأصهاره، حيث كان يعيش اجتماعياً لا منحصرأً ولا منعزلاً. والثانية أن من حوله كانوا يترقبون ويحفظون ما يصدر عنه بشغف وشوق واهتمام وإجلال لعلمهم أنه دين يُتَعَبَّدُ به، وهَدْيٌ يُسْتَنَارُ بنوره، ووحْيٌ معصوم لا مَرِيَّةَ فيه، ولكنهم ما كانوا يبادرون إلى كتابة القرآن الكريم، ولكنها كانوا يبادرون إلى كتابة القرآن الكريم، ولكنها

الناس في القراءة فوَحَّدَهم على صورة إملائية موحدة، أخذت فيما بعد اسم الرسم العثماني لأنه هو الذي أمر بها ووقعت تحت إشرافه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة^(١٦٠) فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبدالله ابن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبدالرحمن ابن الحارث، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من

مع ذلك لقيت من العناية ما لا تقارن بها العناية التي نالتها الكتب المقدسة عند الأمم السابقة، واستمر الإجلال والتوقير للسنة والاهتمام بها عبر الأجيال حتى أبدعت الأمة الإسلامية في حفظها منهجاً لم تظفر بمثله أمة من الأمم. ويمكن أن نوجز الأدوار التي مرّت بها السنة النبوية بالمراحل التالية:

عهد النبوة: كان حفظ السنة في العهد النبوي في البداية يعتمد على الذاكرة فقط، وكان النبي ﷺ أول الأمر ينهى عن كتابة الحديث حيث قال ﷺ: (لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحّحه)^(١١٠). ثم صحّ عنه ﷺ آخر الأمر أنه أذن بالكتابة، بل وأمر بها أحياناً، فقال لعبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: (أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا الحق)^(١١١) "أي: من فمه ﷺ"، فكان عبدالله يكتب، وكان من ثمار هذه الكتابة الصحيفة الصادقة^(١١٢). وقال لأبي هريرة ﷺ: (استعن بيمينك، وأَوْماً بِيَدِهِ لِلْحَطِّ)^(١١٣). وقد ذكر العلماء للتوفيق بين النهي عن الكتابة والأمر بها وجوها عدة منها؛ أن النهي كان أول الإسلام مخافة اختلاط

الحديث بالقرآن، فلما كثر عدد المسلمين وعرفوا القرآن معرفة رافعة للجهالة، وميزوه تمييزاً لا لبس فيه زال هذا الخوف، فأذن لهم بكتابة الحديث، ومنها؛ أن النهي كان أول الأمر ثم نسخ، أو أنه منع أن يكتب الحديث والقرآن في صحيفة واحدة، وذكروا أقوالاً أخرى ليس الغرض تقصيصها، والمقصود أن صوراً من الكتابة للحديث ظهرت في عصر النبوة ولكنها كانت محدودة، وكان اعتماد الغالبية العظمى من الصحابة ﷺ في حفظ السنة النبوية على الذاكرة لسعة حفظهم وسيلان أذهانهم ولأن أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة^(١١٤).

عصر الصحابة: احتلت السنة النبوية من نفوس الصحابة موضعاً عظيماً لعلمهم بموقعها من الدين، وأنها المرجع الثاني بعد القرآن الكريم، وقد حرصوا على نقلها صحيفة سليمة كما سمعوها، لذلك كانوا يشتبون في نقلها، وكان بعضهم يتحرج من الحديث مخافة أن يقع منه خطأ غير متعمد في الرواية، كما كانوا يتحرجون أول الأمر من الإكباب على كتابة الحديث مخافة اشتغال

ظهورها في هذا الزمن المبكر من أهم الأسس التي قام عليها توثيق نقل الحديث، كما كانت تأسيساً للعلوم المتعلقة بالرجال.

عصر التابعين: يعتبر عصر التابعين امتداداً لعصر الصحابة واستمراراً لما ظهر فيه من مظاهر العلم والتحديث والاهتمام به، ولكنه تميز بقسط أكبر من الاستقرار بعد حركة الفتوحات النشطة التي شهدتها عصر الصحابة، مما أدى إلى وجود فرص أوسع من التفرغ إلى نشر العلم وبثه والاشتغال به، فنشطت مجالس العلم، وتوسع العلماء في الرحلة في طلب الحديث^(١٧)، وفي أواخر عصر التابعين اتسع الاهتمام بالتدوين والكتابة^(١٨) وتصنيف المصنفات وظهرت مجالس الإملاء، وصاحب ذلك مزيد من الاهتمام برجال الحديث في الأخذ والعطاء فيمن يأخذون عنه ولمن يبذلونه، حتى كان عامة من يشتغل بالحديث من العدول والأمناء، حيث مضت المئة الأولى وكل رواة السنة إما صحابي عدل ضابط - إلا ما كان من القليل الذي يقع له

الناس به عن القرآن، أو أن يلتبس على المسلمين الجدد، أو يضاهى به غيره^(١٩)، فلما زال المحذور وأمن حفظ القرآن توسع الناس في كتابة الحديث. ويمكن أن نوجز معالم العناية بالحديث النبوي في عصر الصحابة بالنقاط التالية^(٢٠):

- ١- الحرص على صحتها والتثبت في نقلها، والحذر من أن يدخل إليها ما ليس منها.
- ٢- الاهتمام بنشر العلم وتعميمه وتبليغه ومدارسه والرحلة في طلبه.
- ٣- الحذر من اختلاطها بالقرآن أو مضاهاتها له.
- ٤- تدارس السنة والعودة إليها في كثير من المسائل التي جَدَّتْ مع الفتوحات وانتشار الإسلام ودخول أعداد كبيرة فيه، يظهر ذلك من خلال فتاوى الصحابة واجتهاداتهم.
- ٥- التردد في كتابتها وتدوينها أول الأمر، ثم التوسع في ذلك نوعاً ما.
- ٦- ظهور الإسناد وكان ذلك بعد ظهور الفتنة، والتعرض للحديث ممن ليس من أهله، فقالوا: سموا لنا رجالكم، وكان

النسيان والخطأ- وإما تابعي كبير ثقة يتحرى الصدق ويتشدد في الرواية -إلا ما كان من اليسير الذي يقع لبعضهم من الأوهام والأخطاء- ومع ذلك فقد ظهر علم نقد الرجال وتكلم فيه عدد من الصحابة والتابعين على قلة في ذلك لقلة الضعفاء في ذلك العصر^(١١٤). إلا أن الطريقة الغالبة التي كانت أكثر انتشاراً واعتماداً بين العلماء هي الحفظ والمشافهة، كما يقول الهروي: "إنهم كانوا يؤدونها لفظاً ويأخذونها حفظاً، إلا كتاب الصدقات والشيء اليسير الذي يقف عليه الباحث بعد الاستقصاء"^(١١٥).

عصر التدوين: دخلت العلوم الإسلامية عموماً عصر التدوين حين تبنت الدولة رسمياً كتابة العلم وتدوينه وكان ذلك على المشهور^(١١٦) في زمن الخليفة الأموي العادل عمر بن عبد العزيز، وكان ذلك استجابة لدواعي الحاجة التي أصبحت مُلحّةً لأكثر من سبب أهمها الحرص على حديث رسول الله ﷺ من الضياع، وقد كانت موضع اهتمام العلماء ولكن بصورة فردية، وجهود شخصية، ثم أصبحت موضع

اهتمام الدولة، ومنها الغيرة على أحاديث رسول الله ﷺ أن يدخلها ما ليس منها، وذلك بعد ظهور الوضع والكذب على رسول الله ﷺ بسبب الخلافات السياسية والمذهبية، قال الكتاني: "ثم حدث في أواخر عصر التابعين تدوين الآثار وتبويب الأخبار لما انتشر العلماء في الأمصار، وكثر الابتداع من الخوارج والروافض ومنكري الأقدار، واتسع الخرق على الرافع، وكاد أن يلتبس الحق بالباطل"^(١١٧)، يؤكد ذلك ما يروى عن ابن شهاب الزهري أنه قال: "لولا أحاديثُ تأتينا من قبل المشرق نكرها لا نعرفها ما كتبت حديثاً ولا أذنت في كتابته"^(١١٨)، لذين العاملين كانت استجابة العلماء سريعة لدعوة الخليفة العالم الزاهد الورع عمر بن عبد العزيز حين كتب إلى الآفاق: "أنظروا حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه"^(١١٩)، وكان فيما كتب لأهل المدينة: "أنظروا حديث رسول الله ﷺ فاكتبوه فإني خفت دروس العلم وذهاب أهله"^(١٢٠)، وكتب إلى عامله على المدينة أبي بكر بن حزم: "أنظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه فإني خفت دروس العلم

وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ،
ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا
يعلم فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرًّا^(١٧٦).

كان لهذا النداء الذي وجهه أمير المؤمنين
إلى الأمصار أثر كبير في إطلاق أيديهم في تدوين
الحديث وتفريغه من الذاكرة، وتداوله بين أهل
العلم، وكان العلماء كثرة وافرة في كل مصر،
فأكبوا على تدوين السنة النبوية، وكان من أوائل
من له بلاء عظيم في ذلك محمد بن شهاب
الزهري حيث يقول سليمان بن داود: "أول مَنْ
دَوَّنَ العلمَ ابنُ شهاب"^(١٧٧)، ويقول هو عن
نفسه: "لم يُدَوِّنْ هذا العلم أحد قبل تدويني"^(١٧٨)،
"ويقول: أمرنا عمر بن عبدالعزيز بجمع السنن
فكتبناها دفترًا دفترًا، فبعث إلى كل أرض له
عليها سلطان دفترًا"^(١٧٩)، وانتشرت الكتابة في
جميع أنحاء الدولة الإسلامية^(١٨٠)، وظهرت
المصنفات، والموطآت والجوامع والمسانيد، التي
انتهجت سبلا مختلفة في التأليف؛ فمنها ما
تناول موضوعات مخصوصة، أو مرويات عالم
مخصوص، ومنها من كان همه جمع أكبر قدر
ممكّن، ومنها ما رتب على الأبواب الفقهية أو

على الأبواب والمسانيد معًا، أو على العلل بأن
جمع في كل متن طرقه واختلاف الرواة فيه، أو
موضوعات متنوعة من الشريعة^(١٨١)، وأول من
صنف في الصحيح المجرد الإمام البخاري ثم
تبعه مسلم^(١٨٢)، ثم تبعهم الكثير من العلماء في
أصناف من التأليف، وعدد من هذه المؤلفات
وصل إلينا، وكثير منها لم يصل ولكنه كان
بمثابة المصادر والروافد الأولية لكتب عظيمة
مشهورة وصلت إلينا، أشهرها الكتب الستة،
حيث يعود الفضل فيها للشيخ الذين ورثوا
ثروة عظيمة مجموعة كانت ميدان البحث
والدراسة التي مهدت للجهازة من بعدهم أن
يتأنقوا ويتروّوا في الاختيار والتمحيص
والترتيب والتبويب، حتى ظهرت الكتب
الستة وأمثالها التي كانت ثمرة لجهود عظيمة
متضافرة ممتدة عبر عقود عديدة من الجهد
والعناء في الطلب والتحصيل والرحلات
والأسفار والحفظ والتمحيص والتحري.

ومع انتشار الحديث وتنوع التدوين فيه
كان يتنامى معه علم آخر مصاحب له لا
ينفك عنه، هو علم مصطلح الحديث الذي

وكانت الثمرة الجنية التي تحققت هي حفظ السنة النبوية من الضياع والاختلاط، وحفظ القواعد والضوابط والميزان الذي به تميز الغث من السمين، فأخرجت ثروة ضخمة تمثلت بها لا يحصى عدداً من الكتب التي حوت كل ما يلزم المسلمين في دينهم، حتى لنكاد نقطع بأن ما ورد عن النبي ﷺ كله جُمع موثقاً ما بين صحيح وحسن وصالح للعمل، لم يفلت منه إلا اليسير، وفي المحفوظ ما يغني عنه أو يرشد إليه.

ولكن يحلو للمغرضين أن يوهنوا من شأن السنة من حيث إثارة الشكوك حول صحتها، موهمين السدّج من الناس أن الصحيح من السنة قليل، وأنه ليس منها صحيح إلا ما حواه الصحيحان، وهذه مغالطة كبيرة، فقد بين أهل الشأن أن الصحيحين لم يستوعبا كل الصحيح بل ما فاتهما من الصحيح أكثر، فقد قال البخاري: "ما أدخلت في كتاب الجامع إلا ما صح، وتركت من الصحاح مخافة الطول"^(١٨٤)، وقال: "ما تركت من الصحاح أكثر"^(١٨٥)، وقال: "أحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف

وَلَدته الحاجة والغيرة على صيانة حديث رسول الله ﷺ وَدَبَّ الكذب عنه، اهتم بدراسة الحديث سنداً ومتناً، يهدف إلى غاية سامية تُعنى بدراسة الحديث من كل ما يتعلق به مما يساعد على التثبت من مدى صحته، فيتناول الحديث من حيث اتصال السند أو انقطاعه للتثبت من رفع الحديث إلى النبي ﷺ بحلقات متصلة لا انقطاع فيها، ومن حيث أحوال الرواة ضبطاً وعدالة للتمييز بين من يؤخذ حديثه ومن لا يؤخذ، ومعرفة أحوال المتن لمعرفة سلامته من العلل المؤثرة للتوصل إلى الحكم على الحديث من حيث القبول أو الرد، لتمحيص ما تصح نسبته إلى النبي ﷺ مما لا تصح^(١٨٦).

وقد حظي هذا الجانب بجهد لا يقل أهمية عما بذل في رواية الحديث وتدوينه، ولولا هذا الجهد العظيم لخفي الكثير من معالم الشريعة واختلط الحق بالباطل، ولكنها كانت حصوناً منيعة شُحنت برجال أشداء في الحق، وقفوا بيقظة على ثغورها، هيأهم الله لحفظ دينه، وحقق بهم وعده.

أولاً: الكتب التي أنزلت قبل القرآن ضاعت نسخها الأصلية ولم يبق منها إلا ترجمتها، أو كتب تحمل اسمها، أما القرآن فهو محفوظ بلفظه وبكلماته التي أنزلها الله على نبيه محمد ﷺ ووصل إلينا بهذا الشكل متواتراً.

ثانياً: اختلط كلام علماء أهل الكتاب من فقهاء أو مفسرين أو مؤرخين بتلك الكتب، أما القرآن فلم يختلط به شيء حتى من كلام رسول الله ﷺ بل ظل متميزاً عنه. ولقد منع النبي ﷺ من كتابة الحديث في بداية نزول القرآن لئلا يختلط الحديث بالقرآن. وبهذا نقلت مرويات الحديث الشريف مستقلة منفصلة عن القرآن بصورة واضحة بينة لا اختلاط فيها ولا تداخل، كما نقلت جهود علماء المسلمين في كتب التفسير والفقه والحديث وغيرها من تفسيرات وشروحات وتعليقات واستنباطات منفصلة مستقلة تماماً عن القرآن والسنة، لا تداخل في النصوص، كما هو معروف.

ثالثاً: لم يستطع أحد أن يثبت بإسناد تاريخي أن أياً من هذه الكتب الموجودة الآن

حديث غير صحيح^(١٨٦)، وقال مسلم: "ليس كل شيء عندي صحيح وضعته هاهنا، إنما وضعت ما أجمعوا عليه"^(١٨٧)، وقد تولت كتب أخرى جمع الصحيح مستدركة ما فات الشيخين ومن أشهرها كتاب المستدرك للحاكم، قال ابن الصلاح: "والمستدرك للحاكم كتاب كبير يشتمل مما فاتهما على شيء كثير، وإن يكن عليه في بعضه مقال، فإنه يصفو له منه صحيح كثير"^(١٨٨)، ومعلوم أن السنن جمعت الكثير من الصحيح وإن لم تقتصر عليه، كما حوى كل من مسند أحمد وموطأ مالك الكثير منه، إضافة إلى ما حوته الصحاح الأخرى والمستدركات والزوائد.

الخاتمة:

وتشتمل على خلاصة المقارنات والتوصيات:

أولاً: خلاصة المقارنات:

كشفت هذه الدراسة عن مفارقات جوهرية بين واقع النصوص المعتمدة في الأديان الكتابية الثلاثة ميدان الدراسة يمكن أن نلخصها بالنقاط التالية^(١٨٩):

تزايد وظهور وتمكين، لم يغلبهم على دينهم أحد، ولم يستطع أيُّ باغٍ أن ينال من كتابهم أو سنة نبيهم، وكل من حاول ذلك باء بالفشل والخيبة والاندحار. بينما لا نجد أياً من الأديان الأخرى إلا وغلب عليهم آخرون سلبوا ما بأيديهم وتمكنوا منهم تمكُّناً أثر على كتبهم حتى اختفى كثير منها ومر بحلقات غامضة.

سابعاً: تعددت الكتب القديمة فتجد أكثر من تورا، وأكثر من إنجيل مع وجود تناقض بينها يقطع بعدم صحتها، بينما لا تجد إلا قرآناً واحداً بأيدي المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، لا تناقض فيه ولا اختلاف.

ثامناً: تظهر هذه الدراسة معجزة القرآن الخالدة في أخباره ووعوده فأخبر عما لحق كتب السابقين من التحريف وما لحق بها من الريب، ووعد للقرآن بالحفظ، وأخبر أنه لا ريب فيه فكان الأمر كما أخبر ووعد.

لقد تحقق بالقرآن وعد الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وبحفظه حفظ الله به كل ما تعلق به، ومن تعلق به، فحفظ به دينه، وحفظ به عهد الأنبياء

بين أيدي اليهود والنصارى نزل على النبي الذي نسب إليه ذلك الكتاب، كما لم يمكن تعيين الزمن الذي ظهر به. أما القرآن فالتاريخ قاطع بشواهد أنه نزل على محمد ﷺ، وأن آياته وسوره قد علم ورصد وحفظ مكان نزولها أو زمانه أو سببه إن كان له سبب.

رابعاً: لغات الكتب السماوية الأصلية اندرست منذ زمن طويل فلم نجد متكلماً بها، بل إن من يفهمها قليل جداً، أما لغة القرآن الكريم فهي لغة حية يتكلم بها إلى الآن مئات الملايين من المسلمين في أقطار العالم المختلفة بهيئتها التي كانت عليها حين نزول القرآن.

خامساً: لا خلاف أن القرآن الكريم كتب كاملاً في زمن النبي ﷺ بين يديه كما تلقاه من جبريل عليه السلام، بينما لا نجد أي دليل يقطع بنسبة الكتب الأخرى إلى النبي الذي تنسب إليه، فضلاً عن ثبوت كتابتها في حياته.

سادساً: فارق النبي ﷺ الدنيا وأمته ظاهرة منتصرة متمكنة، وسرعان ما بايعوا أبا بكر على الخلافة، وظل أمره ظاهراً لم ينقص من الدين شيء، بل ظل أمرهم في

أيها العاقل أن تأبى أن يغرر بك وتزج في
وادي من الضلال.

٢- يلزم كل من أراد أن يبحث عن الدين
الحق أن يتحرى إصابة الحق بيقين، فإنه
من الأمور المصيرية التي لا يُعذر المرء
بالتهاون في التثبت منها.

٣- ليس من العسير أن يكتشف العاقل
المنصف الحق من الباطل إذا صفت
نفسه وصدق قصده، فهذه الدراسة
تضع بين يديك نموذجاً من الدراسة
التي تكشف عن عناصر هامة في التثبت
والتحقق.

٤- لله دين لا يخذله ولا يُسلِّمه ولا يدعه
غامضاً أو ألوبة للمفترين والمضلين،
فالله يغار على دينه ويحميه من العابثين.
وقد تكفل بحفظه وأقام البراهين على
وثوقه، بصورة لم يدع فيها ثغرة لمتصيد،
ولا موطن ريبة لمبطل، وهو من
الوضوح بحيث لا يخفى على منصف،
فلا تحل بينك وبينه الحجب، ولا
تصدنك عنه الأوهام.

والمرسلين، وحفظ به الحق واضحاً لا يشتبه
بالباطل، وحفظ به اللغة التي نزل بها، والأمة
التي نزل إليها، وبقي مصدراً للهدى وشمساً
تمد السائرين المستشرفين لنوره، وروحا تحيي
كل من أدرج بين جوانحه ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ
وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن
نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]. ظل محفوظاً ليكون
روحاً متجدداً نابضاً بالحياة تحيا به النفوس
والقلوب والأمم، كغيث يبعث الحياة بكل ما
هو قابل للحياة، ألم يقل النبي الكريم ﷺ:
(مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ
الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ
قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ) (١).

ثانياً: التوصيات:

١- من تحقيق كرامة الإنسان أن لا يدين إلا
بدين قد ثبتت نسبته إلى الله تعالى، وأي دين
لا يكتسب هذه الثقة فإن الانقياد له يُعدُّ
ضرباً من العبث وتسفيه النفس وإهدار
قيمة الإنسان وضلاله وتضليله، فعليك

الهوامش:

(١٠) نفس المصدر.

(١١) سفر الخروج: ١٢/٢٤.

(١٢) انظر: الشرقاوي، نفس المرجع نفس الصفحة.

(١٣) هناك فرقة من اليهود تسمى القراؤون أي

الذين يكثرون قراءة التوراة، وتسمى العنانية،

نسبة إلى مؤسسها عنان بن داود ينكرون

التلمود كلية، ويقولون ما هو إلا بدعة ابتدئها

الحاخامون ولفقوها وقالوا للناس إنها شريعة

شفوية مصدرها الإله وأنها يجب أن تقدس،

بينما هو كتاب ليس له من القدسية شيء لا من

قريب ولا من بعيد، وما فيه إنها هو آراء جاء بها

أحبار اليهود وحاخاموهم. انظر: جعفر هادي

حسن، فرقة القرائين اليهود، ١٩٨٩م،

بيروت-لندن، مؤسسة الفجر، (ط١)، ص ١٧،

ص ٤٣ وما بعدها. كما أنكره من طوائف اليهود

الصدوقيون والسامريون، حيث أنكروا أن

يكون منزلاً من السماء أو مروياً عن موسى عليه

السلام. الشرقاوي، الكنز المرصود في فضائح

التلمود، ص ٣٣.

(١٤) شلبي، أحمد، مقارنة الأديان (اليهودية)، القاهرة،

١٩٨٨م، مكتبة النهضة المصرية، (ط٨)،

ص ٢٦٥، الشرقاوي، الكنز المرصود في فضائح

التلمود، ص ١٦٥، يوسف حنا نصر الله، الكنز

المرصود في قواعد التلمود، تحقيق: مصطفى أحمد

الزرقاء، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، (ط٢)، ص ٤١.

(١) الهندي: رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي،

إظهار الحق، دار الكتب العلمية، (ط١)،

١٤١٣هـ/١٩٩٣م، بيروت، ص ٣٩.

(٢) انظر سفر يشوع: الاصحاحات: ٤، ٥.

(٣) العمري، محمد نبيل طاهر، ومحمد أحمد الحاج،

مقارنة أديان، جامعة القدس المفتوحة

ومطبوعاتها، عمان/الأردن، ط٢، ص ١٦٩.

(٤) رحمة الله بن خليل، إظهار الحق، ص ٣٩-٤٠،

ربيع، يحيى محمد علي، الكتب المقدسة بين

الصحة والتحريف، المنصورة/مصر، دار الوفاء

١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ط١، ص ١٤-٢٣.

(٥) العمري والحاج، مقارنة أديان، ص ١٦٩.

(٦) انظر: العمري والحاج، مقارنة أديان، ص ١٧٠،

ص ٢٤٣، ربيع، الكتب المقدسة بين الصحة

والتحريف، ص ٢٦١.

(٧) انظر: الشرقاوي، محمد عبدالله، في مقارنة الأديان

بحوث ودراسات، دار الجيل، مكتبة الزهراء

الطبعة الثانية: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م. ص ٢٣.

(٨) انظر: الشرقاوي، محمد عبدالله، في مقارنة

الأديان بحوث ودراسات، ص ٢٢.

(٩) الشرقاوي، محمد عبدالله، الكنز المرصود في

فضائح التلمود، مكتبة الوعي الإسلامي،

ص ١٢.

نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ص ٣٦-٣٦.

(٢٣) انظر: رحمة الله بن خليل، إظهار الحق، ص ٣٩-٤٠، شلبي، اليهودية، ص ٢٣١-٢٣٢، ربيع، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، ص ٢٣. الشرقاوي: محمد عبدالله، في مقارنة الأديان، ص ٢٤-٢٥.

(٢٤) انظر: شلبي، أحمد، مقارنة الأديان (المسيحية)، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٣م، (ط ١٠)، ص ١٧٢.

(٢٥) اكتشف في سنة ١٩٤٥ في نجع حمادي في صعيد مصر لفائف مخطوطة تشكل مكتبة متكاملة تحتوي على كثير من النصوص الكاملة لهذه الكتب التي لم تعترف بها الكنيسة واعتبرتها غير قانونية. انظر: الشرقاوي: في مقارنة الأديان بحوث ودراسات، ص ٢٥-٢٧.

(٢٦) الإنجيل كلمة معربة من الكلمة اليونانية (إفاجيلويون) ومعناها البشارة بالخير أو بالخبر السار والمفرح. الجهني: الموسوعة المسيحية، ٩٨٦. الفاضلي، داود علي، أصول المسيحية كما يصورها القرآن، رسالة دبلوم الدراسات العليا، نوقشت بدار الحديث الحسنية بالرباط، مكتبة المعارف، الرباط، ص ١٤٤، رحمة الله بن خليل، إظهار الحق، ص ٤٠.

(١٥) انظر: الشرقاوي، الكنز المرصود في فضائح التلمود، ص ١٦ وما بعدها، شلبي: اليهودية، ص ٢٦٥. سعيد، عبد الستار فتح الله، معركة الوجود بين القرآن والتلمود، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ص ٣٧-٣٨، العمري والحاج: مقارنة أديان، ص ١٧٤. (١٦) انظر: المراجع السابقة.

(١٧) الشرقاوي، الكنز المرصود في فضائح التلمود، ص ٢٦.

(١٨) شلبي: اليهودية، ص ٢٧٢، العمري والحاج، مقارنة أديان، ص ١٧٩.

(١٩) انظر: شلبي، اليهودية، ص ٢٧٢-٢٧٤، العمري والحاج، مقارنة أديان، ص ١٧٩-١٨٠.

(٢٠) هذه فكرة موجزة جدا عن أغراض هذه البروتوكولات، وللمزيد انظر، شلبي، اليهودية، ص ٢٧٤-٢٧٨، العمري والحاج، مقارنة أديان، ص ١٨١-١٨٢، الموسوعة المسيحية في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة: مانع بن حماد الجهني، الرياض، إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ، (ط ٣)، ص ٥٢٢-٥٢٧، وأي نسخة من هذه البروتوكولات يمكن الحصول عليها.

(٢١) متى: ١٧/٥-١٨.

(٢٢) انظر: فتاح، عرفات عبد الحميد، النصرانية،

- (٢٧) الموسوعة الميسرة، ص ٩٨٦، وانظر: محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٦٨٨.
- (٢٨) العمري والحاج، مقارنة أديان، ص ٢٤٩ نقلاً عن المستشرق إيتين دينيه.
- (٢٩) أبو زهرة: محمد، محاضرات في النصرانية، ١٣٨١هـ/١٩٦٦م، دار الفكر العربي، ط ٣، ص ٤٦-٤٧.
- (٣٠) انظر: الشرقاوي، في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات، ص ٢٩-٣٠.
- (٣١) انظر: خياطة، نهاد: الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، دار الأوتل، ص ٤٧-٤٨.
- (٣٢) انظر: الشرقاوي، في مقارنة الأديان بحوث ودراسات، ص ٢٢. الفاضلي، أصول المسيحية، ص ١٥٧. وسبب ذلك أن قسماً منها يحمل القول ببشرية عيسى عليه السلام، وأكثرها مما استبعد في مجمع نيقية حين غلبت الوثنية على التوحيد، وأصبحت المسيحية البولسية بعدها تحارب كل ما يخالف ما تبنته ولو كان حقاً.
- (٣٣) انظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج ١، ص ١٩، عباس: فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، دار الفرقان الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٥٠.
- (٣٤) الزرقاني، مناهل العرفان، ج ١، ص ١٧-١٨، مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، طبعة ٢٢، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص ٢١.
- (٣٥) انظر الزرقاني، مناهل العرفان، ج ١، ص ١٨.
- (٣٦) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص ٢١.
- (٣٧) انظر: عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، دار القلم، الطبعة الثامنة، ص ٣٧-٣٨. وانظر: السباعي، مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، دار الوراق.
- محمد عجاج الخطيب، أصول الحديث وعلومه ومصطلحه، دار الفكر، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٣٦-٤٥. حيث بسط الأدلة على حجية السنة النبوية.
- (٣٨) المصادر السابقة.
- (٣٩) انظر: الخلف، سعود بن عبد العزيز، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٤٧.
- (٤٠) يوشع بن نون عليه الصلاة والسلام نبي من أنبياء بني إسرائيل، ثبتت نبوته عند المسلمين في السنة الصحيحة بما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بُضْعَ امرأة وهو يريد أن يبيني بها ولماً يين، ولا آخر قد بنى بنياناً ولماً يرفع سقفها، ولا آخر قد اشترى غنماً أو خلفات

الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، ص ٩٣-٩٧. قح، محمود عبد الرحمن، تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة، المكتبة الشاملة، ص ٢٢.

(٤٣) انظر: المراجع السابقة.

(٤٤) اسم عبري لمكان معناه بالعربية المتحرج، وهو المكان الذي ختن فيه يشوع من لم يخن من بين إسرائيل. انظر سفر يشوع: ٩/٥.

(٤٥) اسم عبري لبلد معناه بالعربية موضع الراحة وتقع بين نابلس والقدس. انظر: على، محمد (المبشر الإنجيلي سابقاً)، الأقوال الجلية في بطلان كتب اليهودية والنصرانية، الرسالة الأولى، الطبعة الأولى، مطبعة المنار بمصر: ص ٢١.

(٤٦) محمد على: الأقوال الجلية في بطلان كتب اليهودية والنصرانية، ص ٢١.

(٤٧) سفر صموئيل الأول: ١/٤-١١، ١٥-٢١، ١/٥، وانظر: محمد على، الأقوال الجلية في بطلان كتب اليهودية والنصرانية، ص ٢٢.

(٤٨) سفر صموئيل الأول: ١/٦.

(٤٩) انظر: شليبي: اليهودية: ص ٧٣، العمري والحاج، مقارنة أديان، ص ١٥٩.

(٥٠) انظر: سفر صموئيل الأول: الإصحاح الثامن، شليبي، اليهودية، ص ٧٤.

(٥١) انظر: شليبي، اليهودية، ص ٨١، العمري والحاج، مقارنة أديان، ص ١٦٤.

وهو منتظر أولادها، قال: فغزا فدنا من القرية حين صلى العصر أو قريباً من ذلك فقال للشمس: أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علي شيئاً، فحبست عليه حتى فتح الله عليه... "الحديث-

أخرجه البخاري مختصراً. البخاري، محمد بن إسماعيل ابن برزبه، الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، (صحيح البخاري) متن فتح الباري، بيت الأفكار الدولية، المؤمن للنشر والتوزيع (انظر: ٩/٢٢٣)، وفي صحيح مسلم: الإمام مسلم بن الحجاج، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م، دار ابن حزم، مكتبة المعارف، بيروت، ٣/١٣٦٦ واللفظ له، الإمام أحمد ٣/٣١٨، ويبين لنا حديث أبي هريرة الآتي اسم هذا النبي الكريم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليشوع ليالي سار إلى بيت المقدس". أخرجه الإمام أحمد ٢/٣٢٥ وصححه ابن كثير (انظر: قصص الأنبياء، ص ٣٧٧) والألباني (انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ٢/٢٠)، وراجع سفر يشوع إصحاح (١٠).

(٤١) انظر: ربيع، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، ص ٩٢-٩٣.

(٤٢) انظر: سفر القضاة الإصحاحات الثالث والرابع والسادس والعاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، وانظر: ربيع،

بسبعة عشر عاما ولم يحضرها فور السؤال عنها؟ ولم يرها أحد قبله من كهنة بيت المقدس؟ ولماذا مزق يوشيا ثيابه؟ ولماذا سأل عن معلومات الكتاب أهي صحيحة أم لا؟

(٥٨) محمد علي: الأقوال الجلية في بطلان كتب اليهودية والنصرانية، ص ٢٦. سفر الملوك الثاني، ١٧/٤ - ١٨، ٦/٩ - ١٢.

(٥٩) انظر: الموسوعة الميسرة، ١/٥٠١ - ٥٠٢، شليبي، اليهودية، ص ٨١ وما بعدها، سفر الملوك الثاني الإصحاح: ٢٥.

(٦٠) السموأل بن يحيى بن عباس المغربي: إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي ﷺ، دار الجليل - بيروت، تحقيق: محمد عبد الله الشرفاوي، الطبعة الثالثة، ١٩٩٠م، ص ١٣٨.

(٦١) من أبرز الأحداث التي تعرض لها اليهود حادثة سرجون ملك الآشوريين حيث محاذلة إسرائيل من الوجود وكان ذلك سنة ٧٢١ ق.م. ثم حادثة بختنصر ملك بابل الذي احتل مملكة يهوذا وقتل آخر ملوكهم، ودمر معبد سليمان وسبى أكثر السكان إلى بابل. ومنها حادثة أنتيكوس الملك الروماني الذي أراد أن يمحى الديانة اليهودية من الوجود فقتل منهم ما بين ٤٠ - ٨٠ ألفا، ثم أرسل قواده مرة أخرى فدمر القدس وأحرقها ونهبها وقتل أهلها، ولم ينج إلا من فر إلى الجبال واختفى في المغاور

(٥٢) محمد علي، الأقوال الجلية في بطلان كتب اليهودية والنصرانية، ص ٢٦.

(٥٣) انظر: شليبي، اليهودية، ص ٨٢ وما بعدها.

(٥٤) شفيق جاسر أحمد محمود، تاريخ القدس والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين فيها حتى الحروب الصليبية، عمان، مطابع الإيمان، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، (ط ٢)، ص ٤٢، ومن ذلك ما كان في عهد ملكهم (منسي) الذي عمل الشر في عيني الرب وأغاظه وسجد لكل جند السماء وعبدها. انظر: سفر أخبار الأيام الثاني: ٣٣/١ - ١٠.

(٥٥) يذكر سفر الملوك الأول أن التوراة فقدت في عصر سليمان عليه السلام، ولا يقبل هذا القول لأنه ينسب إلى نبي تفريطاً بالأمانة ومصدر التشريع الذي يحتكم إليه، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ [المائدة: ٤٤].

(٥٦) أحد ملوك بني إسرائيل وصف بالعدل والاستقامة والسير على طريق داود، تولى السلطة بين ٦٢٩ ق.م - ٥٩٨ ق.م، سفر الملوك الثاني: ٢١/٢٥ - ٢٦، ٢٢/١ - ٢.

(٥٧) سفر الملوك الثاني: ٢٢/١ - ٢٠. وهذه الحادثة تثير تساؤلات عديدة؛ أين كانت التوراة من عهد سليمان إلى عهد يوشيا وهي ثلاثة قرون؟ ولماذا جاء بها حلقيا الكاهن بعد السؤال عنها

- والكهوف، وكان ذلك ما بين ١٧٥-١٦٣ ق.م. ومن تلك الأحداث ما فعله تيطس الروماني سنة ٧٠م من تخريب الهيكل وتدمير أورشليم عندما حاول اليهود الاستقلال. وكان آخر الأحداث على يد الروماني هادريان الذي خرب أورشليم وهدم الهيكل وحول أرضه إلى أرض زراعية وحرق جميع ما فيه من الكتب الدينية، وكان ذلك سنة ١٢٥م وقتل جميع اليهود الموجودين في بيت المقدس، وحرّم على اليهود دخولها بعد هذا. ولم تقم لليهود قائمة منذ ذلك التاريخ حتى سنة ١٩٤٨م. انظر شلبي، اليهودية، ص ٨٤-٨٨، شفيق جاسر، تاريخ القدس، ص ٤٢-٤٨، محمد أمين حسن، خصائص الدعوة الإسلامية، الزرقاء/ الأردن مكتبة المنار، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م (١ط)، ص ٧٦-٧٩، سفر الملوك الثاني الإصحاح: ٢٥/١-١٣، قلدح: محمود عبد الرحمن، موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة، محمود بن عبد الرحمن قلدح، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة التاسعة والعشرون- العدد (١٠٧)- (١٤١٨/ ١٤١٩هـ)، ص ٢٤٦ وما بعدها.
- (٦٢) حقي، أحمد معاذ علوان، أثر عزرا في الديانة اليهودية، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، العدد ٧٥، السنة ٢٣، ذو الحجة ١٤٢٩هـ.
- ١٤٢٩هـ/ ديسمبر ٢٠٠٨م، ص ١٢٢.
- (٦٣) انظر: سفر عزرا: ٧/ ١٢-٢٦.
- (٦٤) سفر عزرا: ٧/ ١٠. إذا قالوا بأن عزرا نبي فهل نالها بهيئة قلبه؟ وهل تنال النبوة بالاجتهاد والاكتساب؟
- (٦٥) انظر: رحمة الله بن خليل، إظهار الحق، ص ٤٣. بالطبع الإلهام ليس وحياً، فهل تصح نسبته إلى الله ويعتمد طريقاً للدين يتبع؟
- (٦٦) السموأل، إفحام اليهود، ص ١٣٩.
- (٦٧) السموأل، إفحام اليهود، ص ١٤٠. وانظر: حقي، أثر عزرا في الديانة اليهودية، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، ص ١٣٧.
- (٦٨) انظر: المصدر السابق: ص ١٣٨.
- (٦٩) حسب ما تقوله مصادرهم، وليس لدينا ما يثبت نبوة غير الأنبياء المذكورين في القرآن الكريم والسنة النبوية.
- (٧٠) حلمي: مصطفى، الإسلام والأديان دراسة مقارنة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، دار الدعوة، ص ١٣٩.
- (٧١) انظر: ديب، سهيل ميخائيل، ترجمة وتعليق، التوراة تاريخها وغاياتها، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، دار النفائس (ط ٤) (الملحق)، ص ٧٨.
- (٧٢) ديب، التوراة تاريخها وغاياتها، ص ٢٠، شبيه الحمد، عبد القادر، الأديان والفرق والمذاهب

(٨٣) النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن

حسين القمي (ت ٨٥٠هـ)، غرائب القرآن

ورغائب الفرقان، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض،

مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر،

ج ٢٥، ص ٢٤، وللمفسرين أقوال أخرى فيما

يعود عليه الضمير في قوله {منه}، ولكن هذا

القول أكثرها انسجاماً مع سياق الآية، ومما يعزز

ذلك موقف المفسرين المسيحيين من نصوص

الكتاب المقدس، انظر: موريس بوكاي، التوراة

والأنجيل والقرآن بمقاييس العلم الحديث،

ص ٧٢.

(٨٤) الفرقة التي نصبت نفسها حفيظة على الكتاب

تسمى الكتبة أو النساخ وهؤلاء اثروا ثراء

فاحشاً على حساب مدارسهم ومريديهم.

الموسوعة الميسرة، م ١، ص ٥٠٣.

(٨٥) انظر، ديب، التوراة تاريخها وغاياتها، ص ١٦.

(٨٦) ديب، التوراة تاريخها وغاياتها، ص ٢٠، نقلاً

عن الدكتور آرثر روبن.

(٨٧) ديب، التوراة تاريخها وغاياتها، ص ٤٠.

(٨٨) انظر: يوسف حنا نصر الله: الكنز المرصود في

قواعد التلمود، ص ٤٤-٤٨، شلبي، اليهودية،

ص ٢٦٦.

(٨٩) ديب، التوراة تاريخها وغاياتها، ص ٤٢.

(٩٠) ديب، التوراة تاريخها وغاياتها، ص ٣٨.

(٩١) انظر: سعيد، عبد الستار فتح الله: معركة

المعاصرة، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية،

ص ٢١.

(٧٣) نفس المصدر، وانظر: حسن: محمد أمين،

خصائص الدعوة الإسلامية، ص ٧٩-٨٣،

شبهة الحمد، الفرق والأديان، ص ٢٠-٢١. كما

ذكر يحيى ربيع شواهد من النصوص التي تثبت

عدم صحة نسبة التوراة إلى موسى وأنها كتبت

في عصور متأخرة عنه جداً. الكتب المقدسة بين

الصحة والتحريف: ص ٧٣-٨١.

(٧٤) حسن، خصائص الدعوة الإسلامية، ص ٨١.

(٧٥) حسن، خصائص الدعوة الإسلامية، ص ٨٢.

(٧٦) ربيع، الكتب المقدسة، ص ١٠٠، نقلاً عن

المخططات التلمودية اليهودية للأستاذ أنور

الجندي، دار الاعتصام، ص ٢١، ٢٢.

(٧٧) حسن، خصائص الدعوة الإسلامية، ص ٨٢.

(٧٨) ربيع، الكتب المقدسة، ص ١٠٠، نقلاً عن

المصدر المذكور سابقاً (الجندي).

(٧٩) موريس بوكاي، التوراة والأنجيل والقرآن

الكريم بمقاييس العلم الحديث، ترجمة، علي

الجوهري، الرياض، الساعي للنشر والتوزيع،

مكتبة القرآن للطبع والنشر، القاهرة، ص ٣٨.

(٨٠) ديب، التوراة تاريخها وغاياتها، (الملحق) ص ٨٥.

(٨١) انظر: شلبي، اليهودية، ص ٢٥٦.

(٨٢) انظر: رحمة الله بن خليل، إظهار الحق، ص ٦١

وما بعدها.

(اليهودية) -، وأما ما يسمى تلمود القدس أو فلسطين فإنه يعمل كمرجع إضافي أو مكمل. شاحك، الديانة اليهودية، ص ٧٤ - فيجري إعادة طبعها الآن في إسرائيل وذلك بعد مئة سنة على آخر طبعة منها، ويقوم على ذلك الحاخام ادين شتائيز التز وسيطع منها كما أعلن ستة آلاف نسخة فقط بينما نعلم أن الملايين من نسخ الكتاب المقدس الذي يشمل العهد القديم (التوراة) والعهد الجديد (الإنجيل) يطبع كل سنة، مما يدل على حرص اليهود على المحافظة على سرية التلمود. انظر: ديب، التوراة تاريخها وغاياتها (الملحق)، ص ٨٢، ولكنهم حين يرون فرصة سانحة لنشرها مع ضمان احتواء المعارضين فإنهم لا يباليون بإنكار ما لا سلطة له ولا خوف منه، فالطبعة الأولى لمجموعة الشرائع التلمودية الكاملة عام ١٤٨٠ نشرت في روما بالكامل خلال ولاية البابا سكستوس الرابع عن طريق الرشوة التي يحسن اليهود استخدامها لاجتياز كثير من العقبات، انظر: شاحك: الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، ص ٤٧.

(٩٦) أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ٣٤.

(٩٧) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، ج ٢،

ص ٥٦٧، شلبي، المسيحية، ص ٧٢، أبو زهرة،

محاضرات في النصرانية، ص ٣٥.

الوجود بين القرآن والتلمود: ص ٤٤-٤٨.

(٩٢) الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن حزم (توفي

٤٥٦هـ/١٠٦٣م) الفصل في الملل والأهواء

والنحل، مصر، مكتبة الخانجي مطبوع بهامشه

الملل والنحل للإمام أبي الفتح محمد بن

عبدالكريم الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم

(متوفى ٥٤٨هـ)، الملل والنحل، تصحيح

وتعليق: أحمد فهمي محمد، بيروت، دار الكتب

العلمية، ج ١، ص ٢٢١.

(٩٣) ديب، التوراة تاريخها وغاياتها (الملحق)،

ص ٧٧، شلبي، اليهودية، ص ٢٦٨، العمري

والحاج، مقارنة أديان، ص ١٧٧.

(٩٤) الشرقاوي، الكنز المرصود في فضائح التلمود،

ص ٣٥-٣٩، وانظر: شاحك، إسرائيل، الديانة

اليهودية وتاريخ اليهود، ترجمة: رضى سلمان،

تقديم، ادوارد سعيد، بيروت، شركة المطبوعات

للتوزيع والنشر، ٢٠٠١م (ط ٦)، ص ٤٩ حول

آليات الدفاع عن التلمود.

(٩٥) من مظاهر حرص اليهود على إخفاء ما في

التلمود من التعاليم الخطيرة تجاه الشعوب أنه

وضعت له تراجم عديدة إلى عدة لغات لكنها

كلها محذوفة الحواشي والأقسام التي لا يجوزون

الإطلاع عليها لغير الحاخامين المتقدمين في

اللاهوت. أما النسخة الأصلية من تلمود بابل

(حيث هو القاعدة والأهم في البنية الشرعية

- (٩٨) انظر: عرفات، النصرانية نشأتها التاريخية، ص ٥٩، أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ٣٦-٣٧.
- (٩٩) عرفات، النصرانية نشأتها التاريخية، ص ٥٩، ولم يبين سنة حكمه، وأشار أبو زهرة إلى من بعد ديسوس ولم يذكر اسمه.
- (١٠٠) أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ٣٨.
- (١٠١) عرفات، النصرانية نشأتها التاريخية، ص ٦٠.
- (١٠٢) الفاضلي: أصول المسيحية، ص ١٤١.
- (١٠٣) الفاضلي: أصول المسيحية، ص ١٤٢، نقلا عن كتاب تثبت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار الهمداني، ص ١٥٣.
- (١٠٤) رحمة الله بن خليل، إظهار الحق، ص ٤٢-٤٣، وانظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ٣٨.
- (١٠٥) انظر: شلبي، المسيحية، ص ٨٢-٨٣، ص ٩٨ وما بعدها، ص ١١٣، العمري والحاج، مقارنة أديان، ص ٢٤١-٢٤٣، عبد الرحمن عميرة، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، الرياض، دار اللواء للنشر والتوزيع، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، (ط ١) ص ٣٩-٤١، راجع سفر الأعمال/ الإصحاح التاسع، محمد سليم القاضي: النصرانية في ميزان العقل والإسلام، تحقيق: نبيل حامد خضر، إربد، دار الكتاب الثقافي، دار المتنبّي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م،
- ص ٣٠٣ وما بعدها.
- (١٠٦) انظر: العمري والحاج، مقارنة أديان، ص ٢٤١، شلبي، المسيحية، ص ١١٣، عبد الرحمن عميرة، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، ص ٤٠.
- (١٠٧) انظر: الفاضلي: أصول المسيحية، ص ١٢٠ نقلا عن: الماسونية أقدم الجمعيات السّرية، الماسونية (أوقفوا هذا السرطان)، ص ٣٦.
- (١٠٨) العمري والحاج، مقارنة أديان، ص ٢٦٨.
- (١٠٩) الموسوعة الميسرة، ص ٥٧٨.
- (١١٠) انظر: عرفات، النصرانية نشأتها التاريخية، ص ٦٠.
- (١١١) انظر: الموسوعة الميسرة، ص ٥٦٩.
- (١١٢) الموسوعة الميسرة، ص ٥٧٩، أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٤٧.
- (١١٣) أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٤٨.
- (١١٤) الموسوعة الميسرة، ص ٥٧٩، أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٤٩.
- (١١٥) انظر: موريس بوكاي، التوراة والأنجيل والقرآن بمقياس العلم الحديث، ص ٨٥-٨٦.
- (١١٦) المرجع السابق، ص ٨٦.
- (١١٧) موريس بوكاي: التوراة والأنجيل والقرآن بمقياس العلم الحديث، ص ٩٢.
- (١١٨) مرقس: ١٦/ ١٥.
- (١١٩) مرقس: ١٤/ ١٥.

(١٣١) انظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية،

ص ٥٦، ربيع، الكتب المقدسة، ص ١٤٨.

(١٣٢) انظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية،

ص ٤٩.

(١٣٣) أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ٥٨.

(١٣٤) ربيع، الكتب المقدسة، ص ١٥٧.

(١٣٥) انظر: نفس المصدر.

(١٣٦) انظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ٥٢.

(١٣٧) عبد الوهاب: لواء أحمد، اختلافات في تراجم

الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية،

مكتبة وهبة، القاهرة، ص ٧٩.

(١٣٨) نفس المصدر.

(١٣٩) المصدر السابق، ص ٨٩.

(١٤٠) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، حديث

رقم ٥، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب

الاستماع للقراءة، حديث رقم ٤٤٨.

(١٤١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، حديث

رقم ٢.

(١٤٢) وقد أجاب العلماء عن أخبار وروايات توهم

حصر حفاظ القرآن في عدد محدود من الصحابة

مثل حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (خذوا القرآن من

أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي

حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب)،

البخاري، كتاب فضائل الصحابة باب مناقب

(١٢٠) انظر: عمران، أحمد: القرآن والمسيحية في

الميزان، الدار الإسلامية، بيروت، الطبعة

الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م: ص ٣٧٠.

(١٢١) انظر: ربيع، الكتب المقدسة، ص ١٢٣-١٢٨.

(١٢٢) على الرغم من حرص الكنيسة على إيهام قرب

عهده من عصر المسيح عليه السلام إلا أن

الخلاف على تحديد تاريخ كتابة هذا الإنجيل كثير

جدا لا يمكن سده ولا ترجيح قول على قول.

انظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ٤٥.

(١٢٣) انظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية،

ص ٥٠-٥٣، ربيع، الكتب المقدسة،

ص ١٢٨-١٣٣.

(١٢٤) انظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية،

ص ٥٤.

(١٢٥) انظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية،

ص ٥٤.

(١٢٦) انظر: ربيع، الكتب المقدسة، ص ١٣٩، أبو

زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ٥٤.

(١٢٧) انظر: ربيع، الكتب المقدسة، ص ١٣٧.

(١٢٨) انظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية،

ص ٥٤.

(١٢٩) انظر أبو زهرة، محاضرات في النصرانية،

ص ٤٧.

(١٣٠) أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ٥٥-

٥٦، ربيع، الكتب المقدسة، ص ١٤٦.

وبهذا يتحقق التواتر الذي يفيد القطع واليقين.

(١٤٣) الحاكم، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية: بيروت، ٢/ ٢٤٩، ٢/ ٦٦٨، قال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم حديث رقم ٢٩٠٠، ٢٩٠١، ٤٢١٧، البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُو جردى الخراساني، أبو بكر، شعب الإيمان، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، إشراف: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية بيومباي - الهند، نشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بيومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ١/ ٣٤٢. والرقاع: جمع رقعة وتكون من الورق أو الجلد. ومعنى نُوْلِف: أي نجعله ونرتبه كتابة. انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج ١، ص ٢٠٢.

(١٤٤) جاء اسمه في هذه الرواية عمرو وفي رواية أخرى عند البخاري ابن أم مكتوم، حديث رقم ٤٥٩٢، كتاب التفسير، سورة النساء، باب ١٨، والمشهور أن اسمه عبد الله، وقد نبه الترمذي على أنه يقال له عبد الله وعمرو، وأن اسم أبيه زائدة وأن أم مكتوم أمه. فتح الباري، ص ١٩٧٧.

(١٤٥) صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن، باب

سالم حديث رقم ٣٧٥٨، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب أبي بن كعب حديث رقم ٣٨٠٨، وحديث أنس ؓ قال: مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء ومعاذ ابن جبل، وزيد بن ثابت وأبو زيد. وعنه أيضا قال: جمع القرآن على عهد النبي ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: أبي ومعاذ بن جبل، وأبو زيد وزيد ابن ثابت، فسئل من أبو زيد فقال: أحد عمومي (البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب زيد بن ثابت، حديث رقم ٣٨١٠.

بأجوبة عديدة منها حول معنى الجمع هل هو كتابة أم جمعه كاملا بالأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، أم حفظاً واستظهاراً؟ والأخير أضعفها، وعلى فرض أنه هو المعني فهل الحصر مطلقاً أم باعتبارات معينة، أما الحصر مطلقاً فممتنع لكثرة الحفاظ من الصحابة، ولأن أنساً لا يستطيع حصر الحفاظ والوقوف على أحوالهم جميعاً لذا يحمل قوله على من جمعه من الأنصار أو من بني عمومته أو ممن اطلع عليه. انظر: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج ١، ص ٢٤٠-٢٤٢. القطان، مباحث في علوم القرآن، ص ١٢٠-١٢٣. ولو فرضنا أنه لم يجمع القرآن كله حفظاً إلا هؤلاء المذكورون لما قدح ذلك في التواتر لأن هذه الآثار لا تنفي أن تكون كل سورة قد حفظها عدد غفير من الصحابة

ومن كتاب الوحي، وكان ممن شهد العرضة الأخيرة على رسول الله ﷺ حين عرضه عليه جبريل للمرة الثانية في السنة التي كانت فيها وفاته ﷺ. انظر: عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن، ص ١٠٧.

(١٥٢) العُصْب: جمع عسيب وهو جريد النخل كانوا يكشفون الخوص ويكتبون في الطرف العريض. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت. (١٥٣) اللخاف: صفائح الحجارة الرقاق. ابن منظور، لسان العرب.

(١٥٤) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، حديث رقم ٤٩٨٦. (١٥٥) انظر: شاهين، عبد الصبور، تاريخ القرآن، ص ١٠٦.

(١٥٦) أي كثر عددهم ونها. ابن منظور، لسان العرب.

(١٥٧) ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ج ٢، ص ٣٥٧. البرهان فوري، علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ٤٧٦٥، ٢/ ٥٧٧.

كاتب النبي ﷺ، حديث رقم ٤٩٩٠، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب سقوط فرض الجهاد عن المعذورين، حديث رقم ١٨٩٨.

(١٤٦) الترمذي، الجامع، كتاب التفسير، باب ومن سورة التوبة، حديث رقم ٣٠٨٦، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث عوف عن يزيد الفارسي عن ابن عباس. ص ٤٩١، طبعة بيت الأفكار الدولية. (١٤٧) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، طبعة بيت الأفكار الدولية، ص ٢١٩٩.

(١٤٨) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، حديث رقم ٣٦٢٤، كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ.

(١٤٩) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب ٥، حديث رقم ٦، كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ حديث رقم ٤٩٩٧، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة، حديث رقم: ٢٣٠٨.

(١٥٠) انظر: شاهين، عبد الصبور، تاريخ القرآن، دار القلم ١٩٦٦، ص ٥٧.

(١٥١) مما تميز به زيد ﷺ عدة مميزات أهله للقيام بهذه المهمة، منها: أنه كان شاباً جلدأً فهو أقدر على العمل لشبابه، كما كان من حفاظ القرآن،

(١٦١) الحاكم، المستدرک، ج ١، ص ١٨٧، قال الذهبي: إن كان الوليد هو ابن أبي الوليد الشامي فهو على شرط مسلم. الدارمي: عبدالله ابن عبدالرحمن أبو محمد، سنن الدارمي، تحقيق: فوز أحمد زمري، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، الأحاديث مذيلة بأحكام حسين سليم أسد عليها، ج ١، ص ١٣٦ وقال: إسناده صحيح.

(١٦٢) انظر: عجاج الخطيب: أصول الحديث، ص ١٩٤.

(١٦٣) الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، الجامع (السنن)، طبعة بيت الأفكار الدولية، مؤسسة المؤتمن للتوزيع، حديث رقم: ٢٦٦٦.

(١٦٤) وانظر: السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن، تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك، طبعة المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ص ٦.

(١٦٥) انظر: الخطيب: أصول الحديث، ص ١٥٣-١٥٥. وانظر: السيوطي، تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك، عزم عمر ٦٦٦هـ على كتابة الحديث ثم عدوله عن ذلك، ص ٦.

(١٦٦) انظر: عمر الأشقر، المدخل إلى الشريعة والفقه الإسلامي، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م، ص ١٤٥.

(١٦٧) انظر: عجاج الخطيب، أصول الحديث، ص ١٢٩ وما بعدها.

(١٥٨) كان الخلاف واقعا بين القادمين من الشام حيث كانوا يقرؤون بقراءة أبي بن كعب، وبين القادمين من العراق، وكانوا يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود، وكان كل يقرأ على حرف غير حرف الآخر، وهؤلاء لا يعلمون أن كلتا القراءتين مشروعة فيخطئ بعضهم بعضا، فتقع الملاحاة، مما أفرع حذيفة، فشكا الأمر إلى الخليفة للعمل على إزالة أسباب الخلاف. وصادف أن وقع مثل هذا لثمان نفسه، فأخرج ابن أبي داود (في المصاحف): "لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين، حتى كفر بعضهم بعضا، فبلغ ذلك عثمان، فخطب فقال: أنتم عندي تختلفون، فمن نأى عني من الأمصار أشد اختلافا فلما جاءه حذيفة باختلاف أهل الأمصار نحقق عنده ما ظنه في ذلك" (فتح الباري: ص ٢١٩٨) فكان العلاج أن أمر بكتابة القرآن على الصورة الإملائية التي عممها على الأمصار وأرسل مع كل مصحف قارئاً.

(١٥٩) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، حديث رقم ٤٩٨٧.

(١٦٠) صحيح مسلم، كتاب الزهد، باب التثبت من الحديث وحكم كتابة العلم حديث رقم ٣٠٠٤.

(١٧١) أورد ابن سعد خبراً في الطبقات مفاده أن أمير مصر عبد العزيز بن مروان والد الخليفة عمر بن عبدالعزيز كتب إلى إمام حمص وعالمها الحافظ الثقة كثير بن مرة الحضرمي، وكان قد أدرك بحمص سبعين بديراً من أصحاب رسول الله ﷺ أن يكتب إليه بما سمع من أحاديث أصحاب رسول الله ﷺ إلا حديث أبي هريرة فإنه كان عنده بمصر، ج٧، ص٤٤٨، وهذا الخبر إنما يدل على وجود اهتمام بتدوين الحديث من قبل أحد الأمراء، ولكنه لم يكن عاماً على مستوى الأمة كلها كما كان أمر ابنه حين تولى الخلافة فقد عمم الأمر على جميع الأفاق، الطبقات ج٧، قسم ٢، ص١٥٧، وانظر عجاج الخطيب، أصول الحديث، ص١٧٦، ٢١٨.

(١٧٢) الكتاني: محمد بن جعفر، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ، بيروت، لبنان، ص٥-٦، السيوطي، تدريب الراوي، ص٨٩.

(١٧٣) انظر: عجاج الخطيب، أصول الحديث، ص١٧٧، نقلاً عن الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص١٠٨.

(١٧٤) ابن حجر: فتح الباري، ص٣٣٩، وعزاه إلى أبي نعيم في تاريخ أصفهان. وانظر الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص٤.

(١٧٥) الدارمي، السنن، ج١، ص١٢٦.

(١٦٨) حلت الأخبار عن التابعين التردد في الكتابة بين الإجازة والمنع، ويحمل ذلك على وجهين: الأول: كراهة الاعتماد على الكتابة دون الحفظ، وتعطيل الذاكرة فيكون علم المرء في الكرايس والصحف لا في الصدر، والثاني: الحذر من كتابة الرأي مع الحديث مما يؤدي إلى وقوع الاختلاط والالتباس، فإن أكثر المحدثين كانوا من الفقهاء، والفقهاء يجمع بين الرأي والحديث فيخاف تقييد رأيه واجتهاده إلى جانب أحاديث رسول الله ﷺ، فلما اتضحت الأمور وزالت الأسباب نشط العلماء وطلاب العلم في الكتابة، ومن هنا ندرك أن تردد الصحابة كان حرصاً على القرآن من الاختلاط بالحديث، أما التابعون فكان حرصهم على الحديث من الاختلاط بالرأي. انظر عجاج الخطيب، أصول الحديث، ص١٦٥-١١٧٠.

(١٦٩) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، محمد سلطان النمكاني، من مقدمته بتصرف، ص٣.

(١٧٠) السيوطي، تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك، ص٦، وانظر: عمر الأشقر، المدخل إلى الشريعة والفقه الإسلامي، ص١٨٣.

تصرف في العبارة والصياغة، انظر: منير البياتي، محمد رسول الله ﷺ، ص ٤٨-٥٠، قحطان الدوري، رشدي عليان، أصول الدين الإسلامي، ط ٥، دار الفكر، عمان، ص ٢١٤-٢١٥، أبو الأعلى المودودي، مبادئ الإسلام، ص ٨٠-٨٤.

(١٩٠) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، حديث رقم ٧٩، مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم، حديث رقم ٢٢٨٢.

(١٧٦) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، معلقاً قبل حديث رقم ١٠٠.

(١٧٧) الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص ٤.

(١٧٨) نفس المصدر.

(١٧٩) عجاج الخطيب، أصول الحديث، ص ١٨٠، نقلاً عن جامع بيان العلم وفضله.

(١٨٠) انظر: السيوطي، تدريب الراوي، ص ٨٩،

الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص ٧، ٨، عجاج

الخطيب، أصول الحديث، ص ١٨٢.

(١٨١) انظر: الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص ٦-٧.

(١٨٢) انظر: السيوطي، تدريب الراوي، ص ٨٨،

٩١، الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص ٦-٧.

(١٨٣) انظر: السيوطي، تدريب الراوي، ص ٤٠

ومقدمة المحقق، ص ٥-٦.

(١٨٤) السيوطي، تدريب الراوي، ص ٩٨.

(١٨٥) نفس المصدر.

(١٨٦) نفس المصدر.

(١٨٧) نفس المصدر، والمراد بها أجمعوا عليه: ما

اجتمعت فيه شرائط الصحة المجمع عليها، أو

ما لم تختلف الثقات فيه، وقيل غير ذلك، نفس

المصدر.

(١٨٨) نفس المصدر.

(١٨٩) أشار عدد من الباحثين إلى بعض هذه

المفارقات التي تحققت منها في ثنايا هذه

الدراسة، وأضفت إليها ما توصلت إليه مع